من موسكو بالبريد الجوي

انباء

جريدة اسبوعية
تصدر منذ ٥ نيسان عام ١٩٦٩
العدد ٢٠ (٤٧٥)
السبت ٢٠ مايو (ايار)
١٩٧٨

«الانبعاث»
مذكرات
ليونيد بريجنيف
(في الملحق)

لا لسباق التسلح !

[illegible] في العالم :

ان سباق التسلح يشكل خطرا جديا على سلام الشعوب وامنها ، ويبتلع في كل عام ٤٠٠ مليار دولار .

ولهذا فان [illegible] الجمعية العمومية [illegible] الخاصة بنزع السلاح .

وتعبر [illegible] من مختلف بلدان العالم [illegible] سباق التسلح [illegible] القنبلة النيترونية .

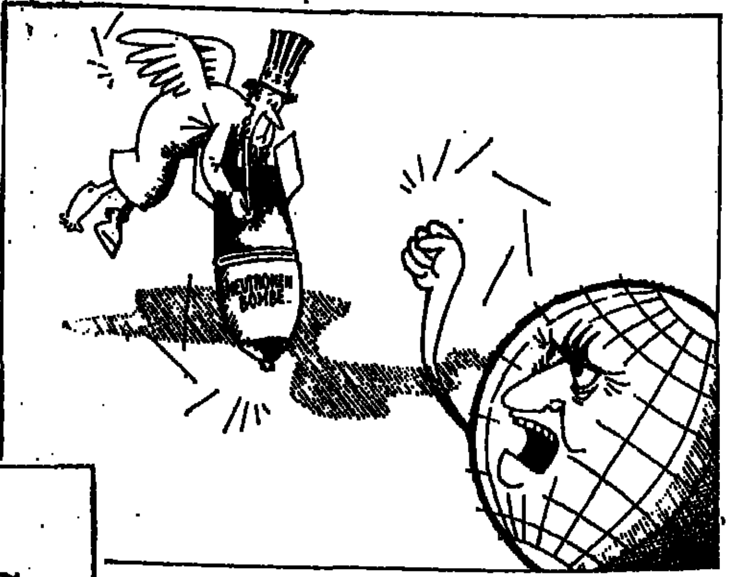
(طالعوا مقالنا الخاص عن افتتاح هذه الدورة الخاصة على ص ٣) .



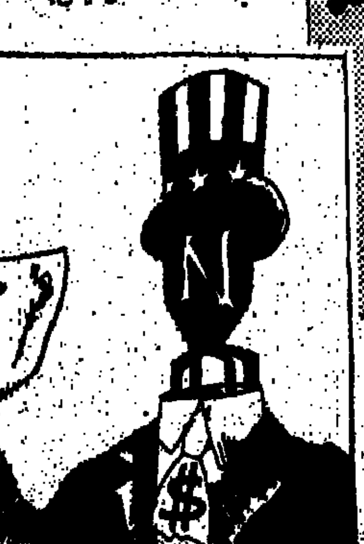
مطلب شعوب العالم
رسم ايفانوف
(الاتحاد السوفيتي)

القنبلة «الانسانية» وقناعها
جريدة «غرانما» ، هافانا

اقذفوا بالدبابات الى قاع البحر !
رسم بروروكوف
(الاتحاد السوفيتي)



رسم من نشرة مجلس السلم العالمي





موجة من الاحتجاج
جريدة
«رابوتنيتشسكو ديلو»
بلغاريا
بوستر اصدرته حركة
«اوقفوا القنبلة
النيوترونية» في هولندا

الادارة : موسكو
٢/١٦ شارع غوركي
تليفون : 00 – 90 – 229
تلغرافيا :
Moscow "Moscow News"
في حالة تأخر أي عدد من جريدتنا يرجى الاشارة الى المصدر

انباء موسكو
رئيس مجلس الادارة : ب. ايوف لوميكو
طبعت في الاتحاد السوفيتي بمطابع جريدة «ازفستيا»

جمعت الحروف في مطبعة «ايسكرا ريفوليوتسي»
ايندكس ٥٠٠٩٠
طبع ٣/٥/١٩٧٨

في المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وهيئة رئاسة السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي ومجلس الوزراء

حول نتائج زيارة الرفيق ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ورئيس هيئة رئاسة السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي ، الى جمهورية المانيا الاتحادية

استحسن المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وهيئة رئاسة السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي ومجلس الوزراء السوفيتي استحسانا تاما كل العمل الذي قام به الرفيق ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ورئيس هيئة رئاسة السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي ، في مجرى زيارته الى جمهورية المانيا الاتحادية ، كما استحسنت نتائج هذه الزيارة الهامة سياسيا . لقد كانت المباحثات مع قادة الدولة والمجتمع في المانيا الاتحادية حول مجموعة واسعة من القضايا الاوروبية والدولية ومسائل العلاقات الثنائية وكذلك الوثائق الصادرة عقب زيارة ليونيد بريجنيف ، خطوة كبيرة في طريق التقدم بقضية الانفراج وحسن الجوار وتعزيز السلام .

ان المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وهيئة رئاسة السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي ومجلس الوزراء السوفيتي تعبر عن الثقة من ان البيان المشترك والاتفاقية على تطوير وتعميق التعاون الطويل الامد بين الاتحاد السوفيتي والمانيا الاتحادية في مجال الاقتصاد والصناعة سيزيدان استقرار العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والمانيا الاتحادية ومن نطاقها وفي ان تثبت وتتعمق بفضلهما تلك الظواهر الايجابية التي بدات في العلاقات الدولية لاسيما بعد عقد المعاهدة بين الاتحاد السوفيتي والمانيا الاتحادية في ١٢ آب (اغسطس) عام ١٩٧٠ وان هذه المعاهدة تحتفظ بكامل اهميتها الاساسية للعلاقات بين الدولتين كما انها كانت ولا تزال احد العوامل الحاسمة في ضمان الانفراج وتدعيم الامن في اوروبا .

واشار المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، وهيئة رئاسة السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي ومجلس الوزراء السوفيتي ، بارتياح الى انه تاكد في مجرى الزيارة وثبت في الوثائق ادراك الجانبين ان السلام اعلى قيمة وان هذه القيمة يجب ان تهدف اليها سواء الاعمال السياسية للدولتين او جهود الدول الاخرى .

ان العمل المثمر الذي تحقق في اثناء الزيارة كان موجها الى المساعدة بكل الوسائل على الجهود الملموسة الفعالة التي ينبغي بذلها سواء بصورة انفرادية او ثنائية او على اساس متعدد الاطراف لتعميق عملية الانفراج وفقا للوثيقة الختامية لمؤتمر هلسنكي لكي تستخدم كل الامكانيات والوسائل لايقاف سباق التسلح سواء النووي اوالعادي وتحديد الاسلحة والقيام باجراءات ملموسة في مجال نزع السلاح ، وسيستجيب بلوغ هذا التقدم الواقعي في هذا المجال للمصالح الحيوية لكافة الشعوب .

يعير المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ، وهيئة رئاسة السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي اهمية كبيرة لنتائج زيارة ليونيد بريجنيف في المجال الاقتصادي .

ان توسيع التعاون التجاري والصناعي والتكنيكي بين الاتحاد السوفيتي والمانيا الاتحادية على اساس الوثائق الموقع عليها سيرسخ الى حد كبير الدعائم المادية للانفراج وسيساعد على نمو صلات حسن الجوار نموا منتظما ومتبادل النفع ، لمصلحة شعبي البلدين ولخير كادحيهما . وعلى الهيئات السوفيتية المعنية ان تعمل كل ما في وسعها لجعل الاتفاقية المتبادلة النفع مضمونا ملموسا ، وان تحقق الالتزامات بدقة ومبادرة وفي مواعيدها سعيا الى زيادة تبادل البضائع الى حد كبير وتنفيذ المشاريع المشتركة الضخمة ، ومن البديهي انه يمكن تحقيق نتائج ايجابية في هذا المجال اذا عمل الجانب الالماني الغربي هكذا ايضا .

ان القيادة السوفيتية تعبر بعد مناقشة نتائج الزيارة التي جرت في جو من التفاهم والصراحة والثقة المتزايدة ، عن ارادتها الصلبة للعمل بمثل هذه الروح في المستقبل ايضا اذ ترى هدفها في رفع نوعية ومستوى العلاقات الثنائية وتحويلها الى عامل من عوامل الاستقرار وحسن الجوار في اوروبا وفي المجال الدولي كليا .

لقد كانت زيارة ليونيد بريجنيف الى المانيا الاتحادية حدثا كبيرا على الصعيد الدولي ومساهمة كبيرة اخرى في تحقيق خط السياسة الخارجية الذي رسمه المؤتمر الخامس والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي والسياسة السلمية لحزبنا ودولتنا وكانت هذه الزيارة مرحلة في تطوير الانفراج السياسي وتكوين المقدمات لنشره على المجال العسكري .

وان تحقيق كل ما يكمن في نتائج الزيارة من الامكانيات لتوطيد السلام والامن الدولي ، يفرض على الجانبين ان يبذلا جهودا عنيدة مستمرة .

ان المواطنين السوفيت يؤيدون نتائج زيارة ليونيد بريجنيف الى جمهورية المانيا الاتحادية ويشيدون بالعمل الجبار الذي قام به لضمان نجاحها . وقد لقيت الزيارة استحسانا وامتنانا لدى القوى التقدمية والمحبة للسلام في العالم كله .

يجب وضع برنامج واقعي لنزع السلاح

ليف سيميكو
دكتور في التاريخ

لاشك في الراى العام العالمي سيتتبع في وقت قريب بفائق الاهتمام الدورة الخاصة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة التي حدد موعد عقدها من ٢٣ ايار (مايو) الحالي الى ٢٨ حزيران (يوليو) لمناقشة مسألة نزع السلاح . وسوف تكون الدورة اوسع ندوة لنزع السلاح اذ يتوقع ان تشترك في اعمالها جميع دول العالم تقريبا . فعلى الدورة ان تعالج مسالة جليلة الاهمية فيجب ان يرسم بجهود جماعية برنامج لنزع السلاح بناء وواقعي التنفيذ وان تحدد الاتجاهات الاساسية لعمل الدول واشكاله وسبله ، وترسم خطوات جديدة لتحضير وعقد الندوة التالية وهي المؤتمر العالمي لنزع السلاح . فمن المقصود الاسهام بعد مناقشة البنود الاربعة في جدول الاعمال بقسط هام نافع في حل القضية الاساسية التي تواجه البشرية الان وهي تقليل خطر الكارثة النووية وابعادها في نهاية الامر .

ان هيئة الامم المتحدة التي يتلخص هدفها الرئيسي وفقا لميثاقها في صيانة السلام والامن الدولي ، تشغل مكانة هامة في حل قضايا نزع السلاح . ولقد بحثت هذه المسائل في جميع دورات الجمعية العامة بلا استثناء ويجدر بالذكر ان اعضاء هيئة الامم المتحدة (الذين يبلغ عددهم الان ١٤٩ عضوا) تقدموا منذ تكوين هيئة الامم المتحدة بمئتين وثلاثين اقتراحا مختلفا في مجال نزع السلاح ، وقد تحقق كثير منها ويجدر بالذكر ايضا ان ٨٠ اقتراحا منها كانت سوفيتية وهذا الواقع يدل بحد ذاته على دور الاتحاد السوفيتي القيادي في النضال من اجل السلام الوطيد في العالم ونزع السلاح .

واشترك الاتحاد السوفيتي بنشاط في تحضير الدورة الخاصة القادمة اعتقادا بان حل المسائل المعقدة لنزع السلاح على نطاق عالمي جذريا يستحيل بدون اخذ وجهات نظر الدول كافة . وهذه المسائل متنوعة للغاية وتمس مصالح كل بلدان العالم النووية وغير النووية الكبيرة والصغيرة ، المتقدمة والنامية ، المنضمة الى الاحلاف العسكرية وغير المنحازة وهذا امر طبيعي . فلن تكون عالمية فان اهواء سباق التسلح الذي ينفق عليه حوالى مليار دولار يوميا يعاني منها العالم كله الان ناهيك عن العواقب الفاجعة للحرب العالمية الجديدة اذا لم يتم تفاديها .

لقد طرح الاتحاد السوفيتي مع بلغاريا وهنغاريا والمانيا الديمقراطية ومنغوليا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٧ على بساط البحث في اللجنة التحضيرية للدورة الخاصة مشروعي الوثيقتين الختاميتين اي الاحكام الرئيسية للبيان حول نزع السلاح ، وبرنامج العمل من اجل نزع السلاح . وتقدمت الدول الاخرى باقتراحاتها ايضا . ويجب الان ان توضع على مثل هذا الاساس قرارات مقبولة للجميع لتكون حافزا جديا لحل قضية نزع السلاح .

ولقد جاء في مشروع البيان حول نزع السلاح ان المسالة الجذرية تتلخص الان في تحويل المبادرات الموجودة الى حيز التطبيق ، والسير الى امام نحو بلوغ اتفاقات دولية فعالة والزامية في مجال نزع السلاح . ان هذه الفكرة ملحة بصورة خاصة . فهذا المقارنة بين وجهات نظر مختلف الدول (التي لا تتشابه بل وتختلف ايضا لاسباب كثيرة) ينبغي رسم اجراءات توجه الدول الى التفاوض حول تحديد الاسلحة ونزع السلاح ؛ ولا يخفى على احد ان بعض الاوساط في الغرب الذي يريد مواصلة سباق التسلح ، تفضل ان تصدر الوثائق الختامية على شكل بيان وحسب وليس هذا الا محاولة للتقليل من اهمية الدورة الى ادنى حد .

ان مشروع برنامج العمل الذي تقدمت به الدول الاشتراكية يرسم اجراءات يتيح تحقيقها الاقتراب الى اقصى حد من الهدف النهائي . وهو نزع السلاح نزعا تاما وشاملا . وهي اجراءات ملموسة يمكن البحث فيها حول طاولة المفاوضات غدا ، واتخاذ قرارات ايجابية بصددها شريطة ان تبدى مختلف الدول الارادة للعمل السياسي في هذا المجال ، ومن تلك الاجراءات ايقاف انتاج السلاح النووي وتخفيض مخزونه بالتدريج حتى اتلافه التام ، وتفادي خطر الحرب النووية وتحريم تجارب السلاح النووي ، وحظر صنع انواع ومنظومات جديدة من الاسلحة الفتاكة وتحديد وتخفيض الاسلحة العادية والميزانيات الحربية الخ .

يمكن الافتراض بان المشتركين في الدورة الخاصة سوف يبحثون باهتمام ايضا المبادرات السوفيتية الجديدة التي تقدم بها ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ورئيس هيئة رئاسة السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي ، في اواخر نيسان (ابريل) الماضي ، وكان بين تلك المبادرات اقتراحات حول ايقاف صنع انواع جديدة من الاسلحة العادية ذات القوة التدميرية الكبيرة ، والتخلي

(البقية على ص ٥)

بيان هيئة رئاسة السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي

عقدت في الكرملين في ١٦ ايار (مايو) جلسة هيئة رئاسة السوفيت الاعلى في الاتحاد السوفيتي برئاسة ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ورئيس هيئة رئاسة السوفيت الاعلى .

وقد اجملت الجلسة ، اولا ، نتائج العمل لاعداد واقرار الدساتير الجديدة للجمهوريات الاتحادية . وقال ليونيد بريجنيف وهو يفتتح الجلسة ان حدثا ذا اهمية تاريخية كبيرة وقع في حياة بلادنا . فقد تمت الموافقة على الدساتير التي تجسدت فيها التجربة الغنية في بناء دولتنا ، والتطور اللاحق للديمقراطية الاشتراكية والقوة العظيمة للتحالف المتين بين شعوب الاتحاد السوفيتي .

ثم قال بريجنيف ان مناقشات مشاريع الدساتير «اصبحت مظهرا باهرا جديدا للروح الاممية العميقة لمجتمعنا كله .

وقد اكد دستور الاتحاد السوفيتي ودساتير الجمهوريات مرة اخرى ان الصداقة بين الشعوب هي في الحقيقة اعلى مكسب للاشتراكية وقوة محركة جبارة لتطورنا» .

ثم استمعت هيئة الرئاسة الى تقرير مجلس الوزراء السوفيتي عن مجرى تنفيذ قانون التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وقانون ميزانية الدولة السوفيتية لعام ١٩٧٨ .

وقد القى هذا التقرير اليكسي كوسيغين عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ورئيس مجلس الوزراء السوفيتي .

ثم القى ليونيد بريجنيف كلمته في هذا الموضوع .

وبعد ذلك عالجت هيئة رئاسة السوفيت الاعلى مسالة ابرام الاتفاقية بشان تحريم استخدام وسائل التاثير في الطبيعة للاغراض الحربية او لاى غرض آخر معاد للبشرية وهذه الاتفاقية الموقع عليها في جنيف في ١٨ ايار (مايو) عام ١٩٧٧ ، طرحت للمناقشة في الجلسة بمبادرة من مجلس الوزراء .

وقد تحدث اندريه غروميكو عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ووزير الخارجية السوفيتي عن هذه الاتفاقية بالتفصيل واشار الى ان تطبيقها سيكون خطوة جديدة في طريق تعزيز السلم وامن الشعوب وكذلك عاملا هاما لحماية البيئة ولذلك فانها تستجيب لمصالح الشعب السوفيتي وكافة شعوب العالم .

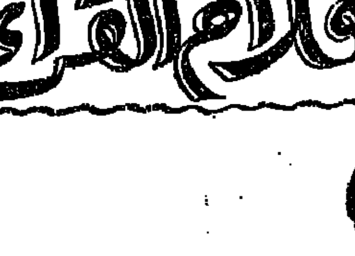
ثم تحدث في الجلسة باسم لجنتي الشؤون الخارجية لمجلس السوفيت الاعلى بوريس بونوماريوف المرشح لعضوية المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وسكرتير اللجنة المركزية ورئيس لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس القوميات فاشار الى ان هذه الاتفاقية ستصبح بعد تطبيقها مساهمة جديدة في قضية كبح سباق التسلح .

واجمل ليونيد بريجنيف نتائج مناقشة هذه المسالة وقال «ان الاتفاقية التي نصدق عليها اليوم هي خطوة اخرى ملموسة تضييق الى حد ما مجال اعداد حرب جديدة ، وكان الاتحاد السوفيتي المبادر الى اتخاذ هذه الخطوة» .

ثم قال ليونيد بريجنيف : «ان حماية الطبيعة تتطلب جهدا من قبل جميع الناس الذين يسكنون الكرة الارضية ولنص هذه الاتفاقية كافة الدول اننا نستحسن هذه الاتفاقية وندعو كافة الدول للانضمام اليها ، فحماية الطبيعة قضية عامة وتفرض على البشرية كلها ان تبذل جهودا من اجل ذلك» .

ومضى بريجنيف يقول ان دورة الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة والخاصة لنزع السلاح ستبدا بعد بضعة ايام . وان البرنامج الذي يشترك به الاتحاد السوفيتي في هذه الدورة ، هو برنامج هام يهدف الى

(البقية على ص ١١)



بأقلام القراء



تحية من تشاد

يسرني ان ابعث بتحياتي الى جريدة «انباء موسكو» . لقد فرحت حين تسلمت من السفارة السوفيتية في تشاد الجائزة مع شهادة الاشتراك في مسابقتكم «ماذا تعرف عن الاتحاد السوفيتي؟» لعام ١٩٧٧ .

توجيق دوماغير
(تشاد)

مواضيع شيقة

انني طالب اردني وجنسيتي فلسطينية ، اعيش حاليا في الجزائر ، وانا من اصدقاء الاتحاد السوفيتي .
اتابع باستمرار صدور جريدة «انباء موسكو» الغنية بالمواضيع الشيقة عن الحياة في الاتحاد السوفيتي ، والتي تعرف القارىء على الاشتراكية الحقيقية .

خليل طه عبد المجيد

قارىء جديد

اطلعت اليوم لاول مرة على جريدتكم ، وقد تركت لدى اجمل الانطباع لموادها المتنوعة والشيقة . انها تعرفنا ببلد عظيم كالاتحاد السوفيتي . والان ، بعد اعادة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي واسبانيا بعد انقطاع دام اربعين عاما يبدا التقارب بين شعبينا .

خوان فيغاس
(اسبانيا)

دستور عادل

ان الدستور السوفيتي الجديد هو مثال يقتدى به في العالم كله . ويلفت النظر الفصل السابع منه الذي يكفل العمل والسكن ورعاية الصحة للمواطنين .
ومن المؤسف ان بعض معارفنا لا يصدقون امكانية ضمان هذه الحقوق . ونامل ان تكثر زيارات الكادحين الاميركان لبلدكم ليتعرفوا على واقع الحال .

كريستينا هيرليس
(الولايات المتحدة الاميركية)

انباء موسكو

في العدد القادم

* المدرسة الثانوية السوفيتية .
* عم يتجادلون في الاتحاد السوفيتي ؟
* جامعة الصداقة بين الشعوب : اعداد الاختصاصيين للبلدان الاجنبية .
* في دار المعلم بموسكو .
* افتتاح مهرجان طشقند السينمائي .

سؤال وجواب

اسئلة القراء تطرحها يفغينيا كوروفا رئيسة قسم الرسائل ويجيب عنها المعلق ليف بيلكين

يقول القارىء الريكي اسكوبار : كثيرا ما يقال ان استغلال الانسان للانسان قد قضي عليه في البلدان الاشتراكية فهل يفهم من ذلك ان الاستغلال باق ولكنه من جانب الدولة في هذه الحالة ؟

— ان سؤالك شبيه بالاساطير التي وردت في التوراة حول العمل الذي غدا لعنة ابدية على الانسان ولماذا تفترض ان الاستغلال سمة خالدة ؟

ان الراسمالي في المجتمع البرجوازي هو المالك الحقيقي لوسائل الانتاج اما العامل فمحروم منها ، وهو مضطر لان يبيع قوته للراسمالي كي يكفل حياته وحين يبيع العامل قوته فانه ينتج بضاعة ما ، غير ان ما ينتجه ليس ملكا له ، بل للراسمالي وهذا هو الاستغلال . اذا ان العامل لا يتقاضى ثمن الجزء الاكبر من قوته باى شكل من الاشكال .

اما في الاشتراكية فان وسائل الانتاج ملك للدولة وبالتالي لجميع المواطنين الذين يعملون للمجتمع اى لانفسهم . ففي الاتحاد السوفيتي مثلا يعود اربعة اخماس الدخل الوطني الى المواطنين بهذا الشكل او ذاك (اجور تعليم مجاني، عناية صحية ، اجازات مدفوعة الاجر ، السكن واجوره المخفضة المقاعد وغير ذلك) . ويذهب الخمس فقط الى التراكم ، الى تطوير الانتاج وزيادة رفاهية الشعب .

ان الهدف الرئيسي للراسمالي هو ابتزاز الارباح . اما الهدف الرئيسي للدولة الاشتراكية فهو ضمان الخيرات لكافة افراد المجتمع .

كما ان وجود الفئات الطفيلية التي تعيش على حساب كدح الغير هو شيء حتمي في المجتمع الراسمالي . اما في النظام الاشتراكي فالعمل الزامي للجميع .

وعند المقارنة بين الراسمالية والاشتراكية ، نجد ان الراسمالي هو الذي يستحوذ على القيم المادية والروحية ، بينما ينبغي على الكادح ان يبيع قوة عمله لكي يحصل على احتياجاته وفي هذه الحالة يتعرض الى استغلال وحشي من جانب الراسمالي .

ويواصل القارىء كلامه من منطلقه الاول الخاطىء فيقول : ان العمال يواجهون صعوبة اكثر عندما يتوجهون بمطالبهم الى الدولة بينما توجههم بها الى مؤسسة واحدة اسهل عليهم .

— اذا كان القارىء يعتقد بان الراسمالي يلبي مطالب العمال دائما فكيف نفسر بقاء ملايين الناس في المجتمع الراسمالي بدون عمل رغم لا يستطيعون ان يتقدموا باية مطالب ؟ كيف يمكن تفسير ان مستوى رفاهية الجماهير وخاصة في الاعوام الاخيرة يهبط باستمرار بينما ارباح الاحتكارات تنمو ؟

اما في ظل الاشتراكية فترتسم امامنا لوحة مغايرة تماما : زيادة رفاهية الشعب بشكل مبرمج . فقد ارتفعت المداخيل الفعلية في الاتحاد السوفيتي في فترة (١٩٧١-١٩٧٥) ٢٤٪ وستزداد في الاعوام الخمسة التي اعقبتها بنسبة ٢٠-٢٢٪ وتهتم الدولة بان تكتسب هذه العملية مجرى دائما انطلاقا من الامكانيات الواقعية للمجتمع ، وهذا مرتبط بالطابع الشعبي العام للدولة وتجدون في نهاية الاجوبة جدول صغير يمكن القارىء ان يدرك منه كنه الدولة الاشتراكية في مثال الاتحاد السوفيتي .

ان الطابع العام للاشتراكية هو مساهمة المواطنين النشيطة في قضايا المجتمع وليس التناقض بين الكادحين والدولة .

ويضيف القارىء: هل تنشا نزاعات في العمل في ظروف الاشتراكية ؟

— نعم ، يمكن ان تنشا . ولكنني لا اسميها نزاعات بين العاملين والدولة وعلى سبيل المثال اذا تبين ان احد المدراء غير محق ، وذلك يحدث فان الدولة بالذات عن طريق هيئاتها (المحكمة الادعاء ، هيئات السلطة الاعلى) تدافع عن الكادحين . وثمة حقوق واسعة للمنظمات الاجتماعية والحزبية والنقابية والشبابية وغيرها .

ففي الاتحاد السوفيتي لا يمكن بدون موافقة النقابة طرد اى عامل وتغيير اى معدل او تسعيرة للعمل .

وطبيعي ان امكانيات المجتمع ليست غير محدودة لتلبية المتطلبات النامية ابدا للكادحين . زد على ذلك ان الدولة لا تستطيع اعطاء اكثر مما تملكه ولذلك فكلما كان عمل الفرد احسن كلما ازدادت امكانيات الدولة ، وذلك يرفع من مستوى رفاهية الشعب كله وكل عامل على حدة .

ويسال القارىء اللبناني كان هو بيج : هل ثمة دعارة في الاتحاد السوفيتي ؟

— كلا . ان احتراف الدعارة ممنوع في بلادنا .

انتخب الى هيئات السلطة المركزية والمحلية :	٢ر٢ مليون نائب
يكون العمال والفلاحون منهم	٦٦ر٤٪
انتخب الى هيئات الرقابة الشعبية	٩ر٦ مليون شخص
يكون العمال والفلاحون منهم	٦٤ر٢٪

آثار الماضي ومعالم المستقبل

انطباعات اندريه سوبيرا (فرنسا) الفائزة الاولى في مسابقتنا «ماذا تعرف عن الاتحاد السوفيتي ؟» لعام ١٩٧٧ .

انتهت رحلتي الشيقة الى اوزبكستان بزيارة سمرقند ، وقد تجمعت لدي انطباعات كثيرة ستبقى في ذاكرتي مدى حياتي . لقد رايت في بخارى وسمرقند اعمال الترميم الجارية لآثار الماضي وادركت كيف يقدر الناس هنا المساعدة الواسعة التي تقدمها الدولة لهذه الاغراض .

وشاهدت في سوق بخارى الزاخر الناس في ابهى الحلل القومية واعجبت بشالات النساء المتدلية وبطاقية الرجال الجميلة وبتناسق الالوان في الازياء القومية .

وسمرقند الاحياء الجديدة ذات الشوارع العريضة التي غرست على جانبيها اشجار الدلب والكستناء والنيلوفر .. انها احياء بخارى المتطلعة الى المستقبل ، والبناء يجري على قدم وساق في كل مكان ! هنا يشقون القنوات والمجاري المكشوفة ، وهناك يبنون العمارات العصرية الشاهقة وبالقرب منها يعمرون الحدائق ويغرسون الاشجار ويرتبون الساحات الخضراء والمماشي الظليلة ، ويمدون الانابيب للري . ورايت قرب فندق «بخارى» الذي نزلت فيه ، مكائن ضخمة للحفر ، حيث ستنشا هنا قريبا واحة خضراء .

وزرت معمل الخياطة والتطريز واعجبت بالاستقبال الحار الذي وجدته هناك !

طشقند ... هذه المدينة الجميلة ! لقد رايتها في الصباح الباكر من نافذة الطائرة انها المدينة الحديقة . وقد تركت لدي اكبر الانطباعات بفضل عناية مؤسسة انتوريست التي نظمت لي جولة في المدينة فتعرفت بمعالمها المعمارية ، والتقطت العديد من الصور . ورايت المدرسة التي شادها بناة اوكرانيا في طشقند بعد الهزة الارضية عام ١٩٦٦ ، وحدثني المرشد عن اساليب وطرق التعليم في بلادكم ، اما انا فحدثته عن مدارسنا ... رايت الجامعة والمدينة

(البقية على ص ١١)



الصحف السوفيتية عن القضايا العربية

كان انالولى الخاريشيف المراسل الخاص لصحيفة «كومسومولسكايا برافدا» فى بيروت ابان العدوان الاسرائيلى على جنوب لبنان والتقى مرارا برئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات . فكتب مقالة فى الجريدة المذكورة عن هذه اللقاءات . وكان ياسر عرفات قد تحدث للصحفى السوفيتى اثناء احد اللقاءات فى مقر عمليات المنظمة عن النضال البطولى للشعب الفلسطينى وقال ان شعبه يعيش الان مرحلة من اخطر مراحل نضاله . ويخوض هذا الشعب نضالا ضد الامبريالية وعملائها وضد الصهيونية وحماتها . واضاف ياسر عرفات قوله ان شعبنا هو حليف استراتيجى طبيعى لحركة التحرر الوطنى العالمية كما انه حليف حتمى لكل القوى الانسانية والتقدمية فى العالم . وهو يتحمل مسؤوليته بكل كيانه سواء كان فى الوطن المحتل او فى الغربة .

ومضى ياسر عرفات يقول «اننا نفتخر بتلك الاواصر المتينة التى تربط شعبنا الفلسطينى بالبلدان الاشتراكية وعلى راسها الاتحاد السوفيتى العظيم ، التى تؤيد نضال شعبنا بحزم» .

نشرت صحيفة «كراسنايا زفيزدا» مقالا بعنوان «الخطة الاستراتيجية» «التخريبية للصهيونية» . بين فيه كاتبه كورنييف الدكتور فى فلسفة العلوم التاريخية الجوهر الرجعى لايديولوجية البرجوازية اليهودية الاصل التى توصف «بالمسرع اليهودى للامبريالية» واوضح السياسة العنصرية والعدوانية التى تسير عليها الاوساط الحاكمة فى تل ابيب .

وكتب العالم السوفيتى يقول ان الصهيونية التى هى جزء عضوى من الامبريالية المعاصرة تتجسد فيها كل السمات الرئيسية للرجعية الامبريالية العالمية مثل النزعة التوسعية والعنصرية ومعاداة السلم والتقدم بلا هوادة . وتكافح الصهيونية بنشاط الحركة العمالية وحركة التحرر الوطنى العالميتين والبلدان الاشتراكية .

وكتب كورنييف يقول ان الامبريالية وفى مقدمتها الامريكية تسعى كما هو معروف ، الى حفظ وتقوية مواقعها فى المنطقة التى هى ملتقى اوروبا وآسيا وافريقيا والتى لها اهمية اقتصادية وعسكرية استراتيجية . ولذلك يسعى قادة حلف الاطلنطى بغية العمل لمصلحة احتكارات الولايات المتحدة وبريطانيا وجمهورية المانيا الاتحادية ودول اخرى ، الى ضرب حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية والحيلولة دون توسعها وعرقلة عملية التحولات التقدمية واضعافها والقضاء على الانظمة التقدمية فى الدول العربية التى تناضل ضد الامبريالية . وتربط الامبريالية آمالها عند ذلك باسرائيل -وليدة الامبريالية الدولية .

ثم كتب كورنييف يقول ان الصهاينة الاسرائيليين يسعون قبل كل شئ الى تحطيم منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها فصيلة طليعية لحركة التحرر الوطنى ، والى ابادة الشعب العربى الفلسطينى بواسطة الاسلحة الامريكية والحيلولة دون تطبيق حقه المشروع فى تكوين دولة وطنية له .

ثم اشار كورنييف الى ان الصهيونية لا تهدد الشعوب العربية وحدها بل انها عدو للبشرية جمعاء لان الصهيونية تعمل لنسف الانفراج ليعرف الجميع الان ان الاحتكارات العسكرية الصناعية تهتم اكثر من غيرها بمواصلة سباق التسلح لانها تجنى من هذا «العمل الدموى» ارباحا خيالية . ومن المعروف كذلك ان عددا كبيرا من هذه الاحتكارات يشرف عليها الراسمال الصهيونى وان حصته كبيرة بوجه خاص فى المجموعة العسكرية الصناعية بالولايات المتحدة . غير ان الاسلحة تباع اسرع حين تسفك الدماء .

لذلك فان البرجوازية اليهودية التى وظفت اموالها فى «صناعة الموت» لا تهتم باقامة السلام وان السلام ليس لمصلحة البرجوازية الاسرائيلية التى تربح كثيرا من سباق التسلح . وليس من قبيل الصدف ان يحمى عملاء المجموعة العسكرية الصناعية فى الكونجرس الامريكى ، السياسة التوسعية للحكومة الاسرائيلية حماية تامة ويثيرون الهستيريا الحربية . ان كل ذلك يرتبط بعضه بالاخر .

افادت صحيفة «ترود» النقابية بان الولايات المتحدة اعلنت قرارها بارسال عدد كبير اضافى من احدث الطائرات العسكرية الى اسرائيل وبموجب هذا القرار ستقدم الولايات المتحدة الى اسرائيل فى اقرب وقت ٢٠ طائرة اخرى من طراز «ف-١٥» عدا ١٥ طائرة من هذا الطراز وكذلك ٧٥ طائرة من نوع «ف-١٦» تقرر ارسالها بموجب برنامج الارساليات الذى يناقشه الكونجرس فى الوقت الحاضر .

وقالت صحيفة «ترود» ان قرار البيت الابيض الاخير انما هو تراجع واشتغلن من جديد امام شلماء الصهيونية الذين مارسوا ضغطا شديدا على الحكومة والكونجرس الامريكيين .

ومضت الصحيفة تقول ان زيادة كميات الاسلحة الهجومية الامريكية باستمرار تزيد من تعنت تل ابيب التى تسعى الى ابقاء احتلال الاراضى العربية الى الابد . ومن المعروف جيدا ان العدد العسكرية التى كانت قد ارسلتها واشنطن لاسرائيل قد استخدمت لاحتلال جزء من اراضى البلد العربى الرابع الذى اعتدت عليه اسرائيل وهو لبنان . ولا تزال اسرائيل تحتل اراضيه بالرغم من قرار هيئة الامم المتحدة .

وقالت صحيفة «ترود» فى الختام ان السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط تشجع اسرائيل على القيام باعمال عدوانية جديدة لا على التسوية السلمية ، كما تكرر الدعاية الامريكية بلا كلل وملل .

اتفاقية

بشان تطوير وتعميق التعاون الطويل الامد بين اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وجمهورية المانيا الاتحادية فى مجال الاقتصاد والصناعة

ان حكومتى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وجمهورية المانيا الاتحادية .

اخذا بعين الاعتبار العزم المعبر عنه فى المعاهدة المؤرخة فى ١٢ آب (اغسطس) عام ١٩٧٠ ، على تحسين وتوسيع التعاون بما فى ذلك التعاون فى مجال العلاقات الاقتصادية لمصلحة الدولتين .

واستنادا الى الاتفاقية بشان المسائل العامة للتجارة والملاحة البحرية المؤرخة فى ٢٥ نيسان /ابريل/ عام ١٩٥٨ ، والى اتفاقية تطوير التعاون الاقتصادى والصناعى والتكنيكى المؤرخة فى ١٩ ايار (مايو) عام ١٩٧٣ ، والاتفاقية على مواصلة تطوير التعاون الاقتصادى المؤرخة فى ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٧٤ .

واشادة بما تحقق من التقدم الكبير فى مجال التعاون الاقتصادى والصناعى والتكنيكى بين الدولتين .

وسعيا الى تطوير وتعميق مجمل العلاقات بين الدولتين على الدوام .

واعتقادا بان توسيع وتنشيط التعاون الطويل الامد بينهما فى مجال العلاقات الاقتصادية والصناعية والتكنيكية يتفقان والمصالح العامة للدولتين ويسهمان بقسط عام فى تقوية التعاون الطويل الامد فى اوروبا كلها .

وبغية تحقيق هذا التعاون على اساس طويل الامد .

وادراكا ان تعميق التعاون الاقتصادى والصناعى والتكنيكى فى اوروبا وفقا للوثيقة الختامية لمؤتمر الامن والتعاون فى اوروبا التى وقعت فى هلسنكى فى ١ آب (اغسطس) عام ١٩٧٥ يقدم قضية تخفيف التوتر الدولى والسلام فى اوروبا وفى العالم كله .

اتفقتا على ما يلى :

المادة ١

يعتبر الجانبان المتعاهدان هدفا لهما ، المساعدة على التعاون الاقتصادى والصناعى والتكنيكى بصفته عنصرا هاما وضروريا لتعزيز العلاقات الثنائية على اساس ثابت وطويل الامد . واخذا بعين الاعتبار الطابع الطويل الامد للمشاريع المتفق عليها والتى تعدها المؤسسات والمنظمات المعنية وكذلك المشاريع المتوقعة خاصة فى مجال المواد الخام والطاقة ، سيسعى الجانبان المتعاهدان الى تنشيط التعاون على اساس النفع المتبادل .

المادة ٢

سيساعد الجانبان المتعاهدان على استمرار تطوير التعاون بما فى ذلك التعاون فى المجال التالى :

انشاء وتوسيع وتجديد المجمعات والمؤسسات الصناعية لتصميم وانتاج بعض الانواع من الاجهزة وغيرها من المصنوعات بصورة مشتركة .

استخراج ومعالجة عدد من انواع الخامات بما فى ذلك استخراج الثروات المعدنية فى قاع البحار .

التعاون فى مجال الطاقة .

التعاون التكنيكى بين المؤسسات والمنظمات المعنية .

التعاون فى مجال العمل المصرفى والتامين والنقل وغيره من مجالات الخدمات .

التعاون مع المؤسسات والمنظمات لبلدان ثالثة .

وسيتعلق التعاون مثلا ، فى فروع كصناعة الماكنات ومن ضمنها وسائل النقل وكذلك صهر المعادن والكيمياء والهندسة الكهربائية بما فى ذلك الصناعة الالكترونية وصناعة بضائع الاستهلاك الواسع ايضا .

المادة ٣

سيشجع الجانبان المتعاهدان تبادل المعلومات الاقتصادية على اوسع نطاق ممكن لتحسين امكانيات التسويق بالتبادل . وفى الوقت نفسه سيواصلان فى اطار القوانين النافذة تشجيع الاتصالات العملية وتسهيل شروط عمل الوكالة الخاصة بالمساعدة على التجارة ، ولجان المبيعات وبعثات المؤسسات والمنظمات والشركات المختلطة والخبراء التكنيكيين ، وسيساعدان على اقامة الاسواق والمعارض المتخصصة والندوات وغيرها من الاجراءات المماثلة .

المادة ٤

وسيبذل الجانبان المتعاهدان عند تطوير التعاون الاقتصادى والصناعى والتكنيكى بين الدولتين ، الجهود لاخذ مبادئ تقسيم العمل الدولى وظروف الاسواق المعنية بين الاعتبار . وعند وجود الاهتمام المشترك يمكن ربط التعاون على تنفيذ المشاريع الكبيرة الحجم والطويلة الامد بارساليات البضائع التى ستنتج فى اطار هذا التعاون .

المادة ٥

اعترافا باهمية التمويل ، بما فى ذلك القروض المتوسطة والطويلة الاجل ، بالنسبة لتطوير التعاون الاقتصادى ، سيبذل الجانبان المتعاهدان لبلوغ اهداف هذه الاتفاقية ، وفيما يخص تقديم الضمانات ، الجهود لكى تقدم القروض المتوسطة والطويلة الاجل فى اطار القواعد الموجودة فى كل من الدولتين بايسر ما يمكن من الشروط .

المادة ٦

تكلف لجنة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية وجمهورية المانيا الاتحادية ، للتعاون الاقتصادى والعلمى والتكنيكى بالمساعدة على تطبيق هذه الاتفاقية ومراقبته . باشتراك المؤسسات الاقتصادية المؤهلة والمعنية . ولبلوغ اهداف هذه الاتفاقية ستضع اللجنة باشتراك المؤسسات المذكورة برنامجا طويل الامد لاتجاهات التعاون الرئيسية .

المادة ٧

طبقا للاتفاقية الرباعية المؤرخة فى ٣ ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧١ ستشمل هذه الاتفاقية برلين /الغربية/ بمقتضى الاصول النافذة .

المادة ٨

لاتمس هذه الاتفاقية المعاهدات والاتفاقيات التى سبق ان عقدها الجانبان المتعاهدان . وبهذا الصدد سيجرى الجانبان المتعاهدان فى حالة الضرورة وباقتراح احدهما ، مشاورات ولكن بشرط الا تمس هذه المشاورات الاهداف الاساسية لهذه الاتفاقية .

المادة ٩

تعقد المدة لتكون هذه الاتفاقية سارية المفعول ، بخمسة وعشرين عاما . وتعقد المدة الاولية لكونها سارية المفعول بعشرة اعوام . وبعد مضى هذه الفترة ستمدد باتفاق الجانبين المتعاهدين لمدة ٥ اعوام اخرى .

المادة ١٠

ستصبح هذه الاتفاقية سارية المفعول بعد ان يتبادل الجانبان المتعاهدان المعلومات عن تنفيذ الاجراءات الضرورية لذلك فى كل من الدولتين .

حرر فى بون يوم ٦ ايار (مايو) عام ١٩٧٨ بنسختين اصليتين كل منهما باللغتين الروسية والالمانية ولكل منهما قوة معادلة .

نيابة عن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية

ل . بريجنيف

ا . غروميكو

نيابة عن جمهورية المانيا الاتحادية

هـ . شميدت

هـ-د . غينشر

٢٥ ايار (مايو) يوم تحرير افريقيا

افريقيا فى الخط الامامى



بقلم فلاديمير كودرياتسيف

ان الاحداث التى هزت افريقيا ولاتزال تهزها معروفة للناس فى جميع انحاء العالم الا وهى احداث القرن الافريقى وتصدرها الثورة الوطنية الديمقراطية الاثيوبية التى اتاحت لشعب هذا البلد الانتقال من الاقطاعية الى التطور فى الطريق نحو الاشتراكية ، والنضال التحررى الوطنى المتصاعد لشعوب زيمبابوى وناميبيا وجنوب افريقيا ، التى تهاجم راس الجسر العنصرى للامبريالية فى هذه المنطقة من القارة ، والنضال الذى يخوضه شعب الصحراء الغربية فى سبيل تقرير مصيره ، ومقاومة شعب تشاد للامبريالية الفرنسية ، واخيرا ، ترسيخ دعائم الدول الافريقية التقدمية السائرة فى الطريق نحو الاشتراكية .

ضد اى تدخل

تلفت افريقيا انظار المستعمرين الجدد الامريكان الذين يطمعون فى ثرواتها الطبيعية ، وتنشط الدول الاوروبية الغربية الاستعمارية سابقا سياستها الاستعمارية الجديدة . وتظل افريقيا الى جانب الشرق الاوسط فى مركز اهتمام الراى العام العالمى .

ما هو سبب بروز افريقيا الى الخط الامامى على المسرح الدولى ؟ ان سبب ذلك يكمن ، حسب اقوال الصحف الامريكية وتصريحات الساسة الامريكان ومن ضمنهم اكبر المسؤولين ، فى «المكائد السوفيتية» او ما يسمى «بالخطر السوفيتى» ، وهو التعبير الذى تعودوا عليه فى الغرب الان . وتبحث الدعاية الغربية عن «الخطر السوفيتى» فى كل مكان بافريقيا لتستير السياسة التوسعية للدول الامبريالية فى القارة الافريقية غير ان هذه الدعاية لاتدل الا على ضعف الامبرياليين امام حركة التحرر الوطنى المتعاظمة وان شعوب افريقيا تعرف احسن من غيرها ان الاتحاد السوفيتى دون تدخل فى شؤونها يؤيد كل مبادراتها التقدمية الرامية الى تعزيز حريتها واستقلالها وتقدمها الاجتماعى . وقد جاء فى نص تحية هيئة رئاسة السوفيت الاعلى فى الاتحاد السوفيتى ومجلس الوزراء السوفيتى الى المشتركين فى الدورة الرابعة عشرة لمؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الافريقية ان : من المعروف جيدا ان الاتحاد السوفيتى يعارض اى تدخل فى الشؤون الداخلية للبلدان الافريقية واننا لانسعى الى فوائد وامتيازات فى افريقيا وتهدف سياستنا فى القارة الافريقية ايضا الى بناء علاقات سلمية ودية مع كافة الشعوب ومساعدتها على السير بنجاح فى طريق الاستقلال والتقدم الذى اختارته .

وفى الوقت نفسه يسعى الامبرياليون بكل الوسائل الى احداث وضع غير مستقر فى القارة الافريقية والى اثارة الخلافات والاصطدامات والاحقاد بين الشعوب .

مصالح الامبريالية الجشعة

ان احداث افريقيا التى تتخذ احيانا طابعا خطرا ، تقع نتيجة اصطدام بين عاملين احدهما عامل تقدمى ، وهو الموجة المتصاعدة لحركة التحرر الوطنى ، وثانيهما عامل ، رجعى وهو محاولة الامبرياليين ابقاء افريقيا فى ايديهم لمواصلة استغلال ثرواتها الطبيعية ويدها العاملة .

لقد اقتربت حدود افريقيا المستقلة من المنطقة العنصرية فى جنوب القارة وهذا العامل يشجع اكثر فاكثر شعوب زيمبابوى وناميبيا وجمهورية جنوب افريقيا على تشديد نضالها فى سبيل التحرر من العنصرية . هكذا نشا خطر كبير يهدد القلعة الامبريالية الاخيرة فى القارة . وتحاول الامبريالية القيام بهجوم مضاد ، وتدفعها الى هذا الطريق ايضا الازمة الاقتصادية الطويلة ولاسيما ازمة الطاقة . ولكن الامبريالية التى تهاجم افريقيا المستقلة ، تضطر فى حقيقة الامر ، الى اتخاذ موقف دفاعى ، وتكييف سياستها الى الظروف الجديدة فى افريقيا ، وهى تعمل «بايدى الغير» فى اغلب الاحوال ، وقبل كل شئ بايدى الرجعية الافريقية الداخلية التى تدير بعض البلدان الافريقية او تعمل كمعارضة او قوة سرية فى البلدان الافريقية التقدمية . ان الامبرياليين وفى مقدمتهم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، كما بينت احداث شابا بزائير فى العام الماضى واحداث الصحراء الغربية وتشاد الان ، يتدخلون فى الشؤون الداخلية للبلدان الافريقية المستقلة ويؤججون النزاعات بمافى ذلك النزاعات الحربية .

لقد كتبت صحيفة «ستاندارت» التى تصدر فى گينيا ، قبل فترة وجيزة ، تقول ان «التدخل فى شؤون الدول والشعوب الاخرى يشكل خلال فترة طويلة ، اهم عنصر فى السياسة الخارجية الامريكية» اذن لايمكن تضليل الشعوب الافريقية كما يبدو ، بالخرافة البالية عن «الخطر السوفيتى» فتدرك اكثر فاكثر المعنى المضاد جوهر السياسة الامريكية المعادية لافريقيا . فكانت الولايات المتحدة تبذر بذور التفرقة بين الشعوب العربية والافريقية حالمة ببسط اشرافها على البحر الاحمر حيث يمر اهم طريق بحرى يربط بين المحيط الهندى والبحر الابيض المتوسط . ويمكن ان يؤدى التدخل الانكليزى الامريكى فى شؤون شعبى زيمبابوى وناميبيا الى نشوب حرب عنصرية قد تسفر عن نتائج وخيمة ليس لشعوب افريقيا وحدها . ويعملون فى الصحراء الغربية كل ما فى وسعهم لاثارة خلاف بين بلدان المغرب وضرب جبهة الصمود العربية التقدمية بذلك . ان الامبرياليين الامريكان يبلورون بسياستهم فى كل مكان بذور البغضاء بغية نسف الوحدة المعادية للامبريالية والعنصرية للشعوب الافريقية ومنظمة الوحدة الافريقية التى هى عبارة عن هيئة اركانها .

(مناورات دنيئة)

يبذل الامبرياليون جهودا كبيرة فى هذا الاتجاه فى جنوب افريقيا محاولين التوصل الى قبول مشروع تحويل روديسيا (زيمبابوى) وناميبيا الى دولتين صنيعتين ، تابعتين للاستعمار الجديد وكذلك مشروع «تجميل» وجه نظام الابارتيد فى جمهورية جنوب افريقيا دون تغيير طابعه العنصرى وبتسامح بريطانيا والولايات المتحدة استطاع يان سميث القائد العنصرى فى سولسبرى تشكيل عن طريق ما يسمى «بالتسوية الداخلية» مع ثلاثة زعماء افريقيين متعاونين معه ، حكومة مزيفة «للاغلبية» من مهمتها خداع افريقيى البلاد والمحافظة على كل امتيازات الاقلية البيضاء العنصرية . ويسعى الامبرياليون والعنصريون بذلك الى الحيلولة دون توحيد الاكثرية الافريقية واضعاف النضال ضد العنصرية . اذ ان هذه التسوية لا تشترك فيها الجبهة الوطنية فى زيمبابوى التى تخوض نضالا مسلحا ضد نظام يان سميث . وتسعى الولايات المتحدة وبريطانيا الى اقناع زعماء الجبهة الوطنية بضرورة الانضمام الى هذه الصفقة بين سميث وخونة شعب زيمبابوى .

ولكن هذه المحاولات عديمة الجدوى ليدرك الوطنيون جيدا ان الهدف الحقيقى للولايات المتحدة وبريطانيا انما هو جعل المناضلين فى سبيل الاستقلال ، يلقون الاسلحة . اذن يهدف كل ما يفعله الامبرياليون فى جنوب افريقيا الى ابقاء قلعتهم هذه تحت ستار «التسوية الداخلية» .

ان المناورات الدنيئة حول قضية استقلال زيمبابوى وناميبيا ، تساعد على ابقاء وتعزيز النظام العنصرى فى جمهورية جنوب افريقيا وبذلك لايبقى فحسب ، بل يزداد خطر الحرب الذى يشكله النظام العنصرى فى جمهورية جنوب افريقيا . وقد اكد ذلك التدخل الاخير للقوات المسلحة لجمهورية جنوب افريقيا فى انغولا وكذلك الاستفزازات الدائمة ضد هذا البلد المستقل والتقدمى .

واجب كل القوى التقدمية

ان النضال فى سبيل تصفية العنصرية فى القارة الافريقية يصبح مهمة لجميع القوى التقدمية فى العالم . ويجب ان تتذكر هذه القوى دوما ان القضاء على بقايا الاستعمار والعنصرية انما هو كما اكد المؤتمر الخامس والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى ، من اكبر المهام الدولية وينبغى ان ينعكس ذلك فعليا فى التاييد اليومى لشعوب زيمبابوى وناميبيا وافريقيا الجنوبية المناضلة .

ولكن الامبرياليين الى جانب سعيهم الى تبديل النظام العنصرى العلنى بكل السبل بنظام عميل تابع للاستعمار الجديد يستفيدون من واقع ان البلدان الافريقية تسير فى طرق تطور مختلفة لتشكيل كتل حربية سياسية من البلدان الافريقية المستقلة السائرة فى طريق التطور الراسمالى والموالية للغرب . ففى باريس لم يتخلوا مثلا عن فكرة تشكيل حلف حربى سياسى باسم «يفرافريكا» يرتبط ارتباطا وثيقا بحلف الاطلنطى والسوق الاوروبية المشتركة ، هكذا تريد الدول الاوروبية الغربية اخضاع الاقتصاد الافريقى والسوق الافريقية لحاجات الكتلة الاقتصادية للدول التسع وايجاد مصدر احتياطى للخامات الاستراتيجية لحلف الاطلنطى ، وكذلك احتياطى «للحوم المدافع» . هذا مخطط خطر للغاية ، وعلى ضوء كل ذلك يجب ان تزيد الشعوب الافريقية من يقظتها . كما لايستطيع الراى العام العالمى التقدمى ان يغض النظر عن محاولات حلف الاطلنطى الذى مد خراطيمه الى القارة الافريقية ومن الاهداف الرئيسية لهذه الاحلاف تفرقة البلدان الافريقية وقمع الدول التقدمية . وينبغى ان يكون النضال ضد تشكيل احلاف موالية للامبريالية فى افريقيا جزءا من نضال الشعوب المشترك فى سبيل نزع السلاح وتفادى الحرب .

ان الشعوب الافريقية تستقبل فى هذا العام يوم التحرر . وقد حققت نجاحات كبيرة فى تحرير القارة من عار العنصرية ولكنها لاتزال تواجه كثيرا من المسائل والقضايا المعلقة . وتمسى افريقيا من اهم عوامل التطور العالمى . ويفرض ذلك عليها مسؤولية كبيرة عن مصير العالم كله كما يفرض على باقى العالم ان يساعد افريقيا بكل ما فى وسعه ، من اجل التخلص من العنصرية وفى سبيل الحرية والاستقلال والسلام والتقدم الاجتماعى .

ثورة البركان

(بقية المنشور على ص ٣)

عن توسيع الجيوش وزيادة الاسلحة العادية لدى الاعضاء الدائمين فى مجلس الامن ، وكذلك لدى البلدان المرتبطة بها بموجب الاتفاقيات العسكرية . من الصعب تقدير هذه المبادرات حق التقدير فان الاسلحة العادية تنمو كما ونوعا الى حد كبير وتبتلع حوالى ٨٠٪ من النفقات الحربية فى العالم كله .

ينبغى ان تشترك فى المباحثات حول نزع السلاح الدول ذات القدرة العسكرية الكبيرة وفى مقدمتها الدول النووية هذا اهم شرط لتحقيق المبادرات فى مجال نزع السلاح ولكن يمكن ان تلعب دورا كذلك الدول التى لها مصالحها الخاصة والتى تستطيع ان تسهم بقسطها الخاص فى قضية نزع السلاح .

ولكن يجب ان تسترشد كل دولة اثناء المباحثات بالمبادئ المتفق عليها مثل مبدأ الحيلولة دون حصول احد على اية امتيازات عسكرية وضمان امن كافة البلدان بالتساوى . ان صيانة هذه المبادئ من اكبر المهام التى تواجه الدورة الخاصة القادمة .

وبين مهام هذه الدورة كذلك تحديد دور نزع السلاح والحد من سباق التسلح فى الظروف الراهنة ، وتقييم تاثير سباق التسلح فى الوضع الدولى ، وتقييم ما تحقق فى مجال تحديد الاسلحة ونزع السلاح بما فى ذلك دور الاجراءات الجزئية وتثبيت فكرة عدم استخدام القوة فى العلاقات الدولية وضمان المراقبة المتينة على اجراءات نزع السلاح الخ .

ان مجرد ذكرها يدل على صعوبة واهمية العمل الذى ينبغى ان تقوم به الدورة . وقد ادرجت فى جدول اعمال الدورة كذلك مسالة عقد المؤتمر العالمى لنزع السلاح ، الذى يمكن ان يصبح انطلاقا فى الطريق نحو حل قضية نزع السلاح التى تمس مصالح كل البلدان بلا استثناء .

وستتسم اعمال الدورة الخاصة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة باهمية سياسية هائلة . وتعلق كافة الشعوب آمالها الكبيرة عليها . وسيعمل الاتحاد السوفيتى بدوره كل ما فى وسعه لانجاح هذه الدورة التاريخية لان النضال فى سبيل السلام ونزع السلاح هو الاتجاه الرئيسى لسياسته الخارجية .

وقد قال ليونيد بريجنيف فى خطابه فى المؤتمر الثامن عشر للكمسومول :

يبذل الاتحاد السوفيتى بالاشتراك مع بقية قوى السلام على كوكبنا جهودا فعالة للحيلولة دون صنع السلاح النيترونى الوسيلة القاتلة الجديدة الاكثر مبالاة للانسانية . وان موقفنا من هذه المسالة فى غاية البساطة والحسم ، وهو التوصل قبل فوات الاوان ، الى اتفاق الدول المعنية على التخلى بالتبادل عن انتاج هذا السلاح ، فليعلموا بنا لنجنب البشرية الهوة مرة والى الابد .

تشريح أزمة الشرق الأوسط

يفغيني بريماكوف

(تتمة)

الوضع المتازم

بعد تحليل اسباب نشوب نزاع الشرق الاوسط واستمراره يبحث يفغيني بريماكوف مؤلف كتاب «تشريح ازمة الشرق الاوسط» بعض الاوضاع التي تحول فيها النزاع الى مرحلة الازمة .

يتناول المؤلف حرب عام ١٩٤٨ ، يخلص الى القول ان سياسة الدول الامبريالية ، التي كانت تحث الجانبين المتنازعين على تنشيط اعمالهما كانت من العوامل الرئيسية التي ادت الى تفاقم النزاع وتحوله الى ازمة .

كما كانت بين هذه العوامل الرئيسية سياسة اسرائيل التوسعية ، وكذلك سياسة الاوساط الصهيونية ، الرامية الى طرد العرب الفلسطينيين من الارض ، التي يعيشون فيها .

وفي معالجته لازمة عام ١٩٥٦ يذكر الباحث الاسباب التالية ، التي ادت اليها :

١-السياسة الامبريالية لبريطانيا وفرنسا اللتين بدأتا ، على اثر تاميم قناة السويس بالتحضير لعمل مسلح ضد حكم جمال عبدالناصر وذلك بتنسيق معين مع الولايات المتحدة ، القوة المهيمنة في العالم الراسمالي .

٢-سياسة اسرائيل ، الهادفة الى اسقاط نظام جمال عبدالناصر ، الذي اظهر ، حتى ذلك الوقت امكانياته في توحيد القوى المعادية للامبريالية في العالم العربي ، وفي تنظيم مقاومة النهج التوسعي لاسرائيل .

وفي معرض تحليله لاسباب تازم نزاع الشرق الاوسط عام ١٩٥٦ فند بريماكوف النظرية الزيفة ، التي روجت في الغرب واسرائيل على نطاق واسع ، والتي تزعم بان النزاع بين بريطانيا وفرنسا ، من جهة ، ومصر ، من جهة اخرى ، وكذلك النزاع بين اسرائيل ومصر تصادفا زمنيا فقط ، ولم يشكلا مشروعا واحدا وبان اسرائيل كانت تدافع عن امنها ، واعتمادا على الوقائع العديدة بين بريماكوف خطل هذه «النظرية» .

فيما يخص اسباب الازمة الدولية السياسية عام ١٩٦٧ اشار يفغيني بريماكوف خصيصا الى السياسة الاسرائيلية ، الهادفة الى اسقاط حكم جمال عبدالناصر ، او الى اضعافه الى حد كبير لانه وحد حوله كل القوى ، المعادية للامبريالية والصهيونية ، والقادرة على العمل ، كما اشار الى خطط اسرائيل ، الهادف الى تغيير طابع الحكم في دمشق ،، وضرب حركة المقاومة الفلسطينية ،

ومن الاسباب الهامة الاخرى ، التي يذكرها بريماكوف ، تاتي سياسة الولايات المتحدة في تأييد الزعامة الاسرائيلية ذات المطامع التوسعية ذلك التاييد الذي بدونه كان من المتعذر على اسرائيل القيام بالاعتداء على مصر وسوريا والاردن .

وبعد عدوان عام ١٩٦٧ كانت سياسة اسرائيل تهدف الى عرقلة تسوية نزاع الشرق الاوسط على اساس عادل ضاربة عرض الحائط بكل دعوات مطالب الراى العام العالمي ، وقرارات مجلس الامن والجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ، والى الحفاظ على نتائج ذلك العدوان وتثبيته . في الحقيقة ، استمرت تل ابيب في رفض كل المبادرات التي كان في وسعها «اذابة» النزاع وحله بوسائل سياسية لمصلحة كافة شعوب المنطقة . ان القيادة الاسرائيلية ، والدوائر السياسية الامريكية المؤيدة لها ، ارادت الابقاء على حالة «اللاحرب واللاسلم» ، التي تساعد ، في رايهم ، على تحول العالم العربي الى اليمين بوجه عام ، وعلى الاضعاف المتزايد للانظمة الثورية الديمقراطية ، وتعميق الانشقاق بين البلدان العربية .

ولاسباب عديدة كانت سياسة «تجميد» النزاع في الشرق الاوسط عديمة الجدوى ، بل ، على العكس ، بان هذه السياسة الاسرائيلية بالذات كانت وراء تفجر الوضع في الشرق الاوسط في (اكتوبر) عام ١٩٧٣ .

طريق نحو السلام

واشار بريماكوف الى العوامل ، التي كانت منطلقا لتحول نزاع الشرق الاوسط الى ازمة والى ، ضرورة ازالة كل الاسباب ، التي ادت الى النزاع العربي الاسرائيلي ، ولا تزال مصدرا له ان تحقيق ذلك امر متعذر الا في اطار تسوية عامة .

وقال بريماكوف ان الاتحاد السوفيتي وغيره من بلدان الاسرة الاشتراكية تناضل في سبيل التسوية السياسية السلمية في الشرق الاوسط لمصلحة كافة الشعوب ، التي تقطن المنطقة واشار الى مبدئية الموقف السوفيتي من النزاع العربي الاسرائيل .

ان الاتحاد السوفيتي يرى في النزاع العربي-الاسرائيل مظهرا من مظاهر المجابهة بين الامبريالية وبين حركة التحرر الوطني ، وانطلاقا من ذلك ، يقف الاتحاد السوفيتي ، سياسيا موقف دعم وتاييد للدول العربية والشعب الفلسطيني ، التي وقعت ضحية العدوان الاسرائيل ؛ واشار بريماكوف الى ان موقف الاتحاد السوفيتي هذا من نزاع الشرق الاوسط ينجم عن موقفه العام من قضايا العلاقات الدولية وقال ان اهتمام الاتحاد السوفيتي باحلال سلام عادل ووطيد في الشرق الاوسط في السبعينات اتخذ معنى خاصا ، لان تطوير عملية الانفراج الدولي واعطاءها مضمونا ماديا ، وتكريسها عمليا يتوقف ، الى حد كبير ، على تسوية النزاع في الشرق الاوسط ، الذي يعتبر من اخطر بؤر التوتر في العالم . وهذا يحدد صلابة موقف عدم التساهل امام العدوان ، وتوسيع الاراضي عن طريق الاعمال العدوانية . ان سياسة الاتحاد السوفيتي مرتبطة عضويا بتاييد قوى التحرر الوطني ، التي تتعرض للحملات الامبريالية .

ومضى بريماكوف يقول ان السياسة السوفيتية-منطلق في تحديد الطريق الى السلام في الشرق الاوسط ، من الاعتقاد بان النزاع العربي الاسرائيل هو نتيجة لمجموعة من الاسباب كاحتلال اسرائيل لاراضي عربية وحرمان الشعب العربي الفلسطيني من حقوقه الثابتة ، واستمرار حالة الحرب . وكانت الدبلوماسية السوفيتية ولاتزال ، تشير ، بثبات ، على طريق تصفية وازالة هذه الاسباب كلية . لان مثل هذا الحل وحده يؤدي الى احلال السلام العادل الوطيد في المنطقة .

واستعرض الكاتب الشروط الرئيسية للتسوية التي تقدم بها الاتحاد السوفيتي كجدول اعمال لمؤتمر جنيف للسلام :

١-جلاء القوات الاسرائيلية عن كل الاراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ .

٢-تامين الحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني ، بما في ذلك حقه في تقرير المصير وتكوين دولته الوطنية .

٣-ضمان حق كل الدول المشتركة مباشرة في النزاع في الكيان المستقل ، والامن ، ومنحها الضمانات الدولية المعنية .

واشار بريماكوف انطلاقا من اعتبار ان الحل الشامل لقضية الشرق الاوسط هو الطريق الواقعي الوحيد لتسويتها ، الى ان الاتحاد السوفيتي لايرفض ، من حيث المبدأ ، اجراءات وسطية للتسوية ، يمكن ان تخص بعض المسائل على حدة . ولكن من المهم ان تصبح كل الاجراءات الوسطية جزءا عضويا من التسوية الشاملة كما قال ليونيد بريجنيف .

وبصورة مفصلة عالج بريماكوف مختلف نواحي الاقتراحات السوفيتية حول تسوية نزاع الشرق الاوسط ، والمشروع السوفيتي لاحلال السلام في المنطقة .

لقد حلل بريماكوف ، اعتمادا على وقائع عديدة الاسباب الحقيقية للنزاع العربي-الاسرائيل الطويل الامد ، وبين انه طالما لم تستأصل هذه الاسباب يمكن للنزاع ان يتازم ثانية ، ويتحول الى ازمة دولية خطيرة ، تعمق النزاع ، وتعرقل تسويته . كما بين الدور البناء للاتحاد السوفيتي في عمل اقامة سلام عادل في الشرق الاوسط. ان هذا الكتاب لايساعد على فهم الوضع في الشرق الاوسط ، فحسب ، بل ويتيح للقارىء ان يقف موقفا صحيحا من احداث الشرق الاوسط وحل الازمة القائمة هناك .

Е.М.Примаков
анатомия ближневосточного конфликта

العالم العربي

وفد اقتصادى عراقى فى موسكو

بدأ الوفد الحكومي العراقي الذي وصل الى موسكو مباحثاته حول التعاون الاقتصادي بين البلدين ، وتناقش آفاق تطوير التعاون في انتاج الطاقة والزراعة والتنقيب الجيولوجي واستخراج النفط واعداد الكادرات الوطنية ، وسوف يبحث الجانبان امكانيات بناء محطة كهربائية جديدة على نهر ديالى في العراق تبلغ استطاعتها ٢٤٠ الف كيلوواط ، وقد اعرب الاتحاد السوفيتي عن استعداده لصنع المعدات لهذه المحطة . ومن المنتظر كذلك مناقشة مسالة البناء المشترك لقنوات الري والمراكز التعليمية لاعداد العمال المهرة ، وسوف تبحث امكانيات توضيع التعاون في التنقيب عن احتياطات جديدة للنفط .

علاقات الشبيبة السوفيتية - اللبنانية

تتوجت الزيارة الرسمية لوفد منظمات الشبيبة السوفيتية برئاسة ترسوفنسيف عضو اللجنة المركزية للكومسومول الى لبنان بتوقيع اتفاقية تعاون لعام ١٩٧٨ بين لجنة منظمات الشبيبة في الاتحاد السوفيتي من جهة واتحاد الشبيبة الديمقراطية في لبنان من جهة اخرى .

ووفقا للاتفاقية سيتبادل الجانبان باستمرار اهم الوثائق السياسية التي تصدرها منظمات الشبيبة وخبرة العمل مع الشبيبة والمعارض والافلام عن حياة الجيل الصاعد في البلدين وسيتعاون الجانبان كذلك في مجال اعداد الكادرات العلمية عن طريق تقديم المنح الدراسية للطلاب اللبنانيين للدراسة في المعاهد السوفيتية واطلاع بعضها البعض على الجديد في الادب المخصص للشباب . وسيستريح فريق من الاحداث اللبنانيين هذا العام في مخيم الرواد «ارتيك» الواقع على ساحل البحر الاسود في القرم .

مساعدة نزيهة

قررت اللجنة التنفيذية لجمعيتي الصليب الاحمر والهلال الاحمر في الاتحاد السوفيتي ارسال معدات لتصوير السكان بالاشعة ولقاح التطعيم ضد مرض السل وغير ذلك من الادوية الى جمعية الهلال الاحمر في الجمهورية العربية اليمنية بغية مساعدة هذا البلد في مكافحة مرض السل .

* * *

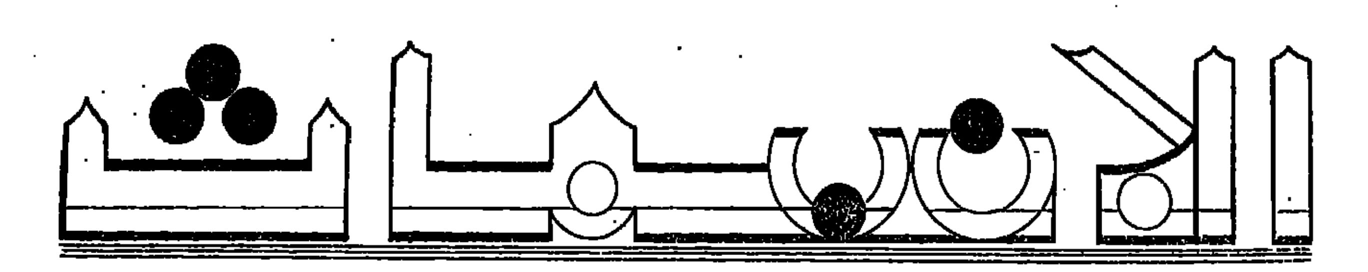
* طرحت الخطة الخمسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للاعوام (١٩٧٦-١٩٨٠) امام ليبيا مهمات واسعة في مجال مواصلة النهوض بالاقتصاد الوطني . وسوف تساعد القاعدة القادرة لتوليد الطاقة التي تبنى في البلاد على التنفيذ الناجح لبرنامج الخطة الخمسية الواسع . ويساهم الاختصاصيون السوفيت في انشاء هذه القاعدة على مسافة ١٠٠ كيلومتر جنوب العاصمة الليبية ، وفي منطقة مدينة الزهراء يجري بمساعدة الاتحاد السوفيتي مد خط جديد لنقل التيار ذي الجهد العالي وسيوحد هذا الخط خطوط نقل التيار المتباعدة في شبكة طرابلس الغرب الوحيدة للطاقة ويؤمن امداد هذه المنطقة بالتيار الكهربائي بشكل ثابت .

* * *

اطلع طلبة الفيزياء من لبنان وسوريا الذين يدرسون في الاتحاد السوفيتي على احدث المعدات المخصصة لدراسة نواة الذرة والجسيمات البسيطة وذلك اثناء زيارتهم معهد الابحاث النووية في مدينة دوبنا قرب موسكو حيث يعمل علماء من البلدان الاشتراكية . وشاهد الطلبة معدات المفاعل الجديد العامل بالنيوترونات السريعة والذي دخل حيز العمل قبل وقت غير بعيد . وان هذا المفاعل القوي هو اكثر نفعا للمحطات الكهربائية ويعمل الفيزياويون الان لزيادة قدرة مثل هذه المفاعلات . وبعد ذلك اطلع الطلبة على التجارب الجارية على مدرجات الجسيمات .



ليونيد بريجنيف



كانت قد نشرت في وقت غير بعيد ذكريات ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفيت الاعلى للاتحاد السوفيتي «الارض الصغرى» والتي اثارت اهتماما واسعا لدى القراء داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه . وترد الى ليونيد بريجنيف طلبات عديدة بشان مواصلة نشر الذكريات ومشاطرة القراء افكاره عن السنوات التي تلت الحرب .

ويستهل عدد ايار من مجلة «العالم الجديد» التي يصدرها اتحاد الكتاب السوفيت بذكريات ليونيد بريجنيف «الانبعاث» .

—١—

كان العشب قد افلح في اختراق الحديد والحصباء وكان يصل من بعيد نباح الكلاب المتوحشة وكان كل ما حولنا ركاما وعلى اغصان الاشجار المحترقة الاعشاش الغرابية السوداء . سبق لي ان شاهدت منظرا كهذا بعد الحرب الاهلية . لكن ما كان يفزع انذاك هو صمت المصانع كصمت المقابر اما الان فهي مهدمة تماما .

كان صيف عام ١٩٤٦ القائظ . وكان الحزب قد ارسلني في تلك السنة الى زابوروجيه وكلفت في البداية بالتعرف الى كل الشؤون في المحافظة مع الاهتمام الخاص بالبناء والزراعة . وخولتني لجنة الحزب المركزية الصلاحيات المناسبة فتوجهت الى المحافظة على عجل بدون اضاعة الوقت .

لم استرح بعد الحرب الوطنية العظمى فورا فوصلت الى هناك وانا لما اخلع البزة العسكرية . وتوجهت في الصباح الباكر الى موقع البناء ولكني لم يتسن لي الوصول الا الى مصنع «كوكسخيم» (المصنع الكيمياوي لفحم الكوك-المترجم) او بالاحرى الى الانقاض التي بقيت من اقسامه العملاقة اذ لم يكن بعد ذلك طريق فكان لا بد من المشي . ظللت اتجول حتى ساعة متاخرة وشاهدت الاطلال من الخرسانة المحطمة والطابوق المهشم واكواما من القاذورات والقضبان المشوهة المتشابكة . لم يكن ثمة ما يرتاح اليه النظر .

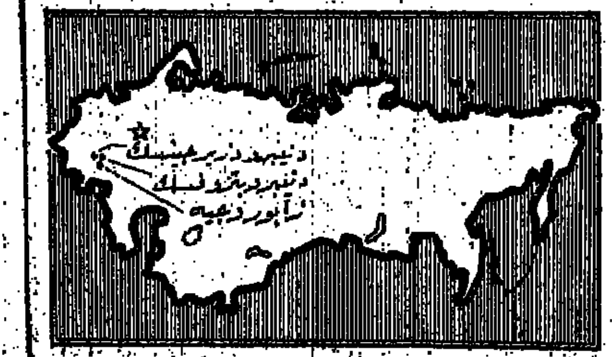
كان العمل جاريا على قدم وساق لازالة الاكوام وكان الوف من البناة يعملون في المشاريع ويكادون يعملون في كلها في وقت واحد . كانوا يعملون بلا آلات تقريبا عملا يدويا وكان يخيل ان هذا العمل لا نهاية له . وكانوا قد عرّفوني بالطريق الى اشخاص ، عرفت الكثير منهم وتذكرتهم فيما بعد اما انا فكنت استمع لشروحهم وكنت في الغالب اتفحص لان الشيء الرئيسي كان واضحا بلا شروح : فالمدينة الحسناء ، مدينة عمال التعدين والطاقة لم يعد لها في الواقع وجود على الارض ، كل شيء هنا نسفته الحرب واحرقته وخربته .

كنت اعرف زابوروجيه قبل الحرب جيدا . فقد كانت قريبة جدا من دنيبروبتروفسك حيث كنت اعمل انذاك ، بالسيارة حوالي ساعة ونصف . وغالبا ما كان علي ان اتوجه الى الجيران الذين كانت تدور بيننا وبينهم مباراة ودية منذ وقت بعيد . وبقيت في ذاكرتي الجنينات الظليلة والساحات المريحة ذات النافورات والعمارات السكنية الجميلة التي كان يتباهى بها اهالي زابوروجيه ومراكز الاستجمام في جزيرة خورتيتسا وجادة لينين الخضراء الفسيحة التي تقطع المدينة كلها حتى نهر الدنيبر . وفي الاماسي حين كنت اعود عادة الى البيت كان الوهج القرمزي يشع في السماء الزرقاء فوق افران الصهر في «زابوروجستال» (مصنع التعدين في مدينة زابوروجيه-المترجم) وكانت مئات الاضواء امامي تتزاوج في الماء فترتسم قوس السد الشهير .

ودنيبروغيس (المحطة الكهرمائية على نهر دنيبر-المترجم) ليست مجرد واحدة من مئات المحطات الكهربائية التي شيدت خلال سنوات السلطة السوفيتية ، وتوجد الان محطات اقوى واكثر عصرية ولكن هذه التي على دنيبر قد غدت لدينا بمنزلة رمز لجبروت بلاد السوفيتات الصناعي . وهذا السد المعروف جيدا للجميع من الوثائق السينمائية والصور المنشورة في الجرائد والمجلات كانت ذات جمال خاص . وروى لي ان فتاة طالبة تركت خلال احدى الرحلات الاخيرة العبارة التالية : «دنيبروغيس على ارضنا مثل بوشكين في الادب ومثل تشايكوفسكي في الموسيقى ومهما سيظهر من عمالقة على الفولغا وانغارا وينيسي فانها لن تستطيع طمس عظمة شيخ صناعة الطاقة السوفيتية» . يا له من قول بليغ !

اما في تلك السنة التالية للحرب فقد كانت مريرة ومحزنة رؤية الضرر الذي لحق بالمنشاة الفريدة . فقد حشا الهتلريون في مبنى السد مائة قنبلة وزن الواحدة منها نصف طن ولولا بطولة جنود الهندسة والاستطلاع لما انقذت من الدمار التام . وحين عبرت القوات السوفيتية الدنيبر عثر في احدى دعائم السد على سلك مقطوع يقود الى المتفجرات والى جانبه جثة جندي قتيل . ولم يتسن التثبيت من اسمه وينتصب منذ ذلك الوقت عند مصراع السد تمثال للبطل المجهول .

وبالرغم من ان الفاشيست لم يتسن لهم تنفيذ خطتهم الهمجية حتى النهاية فان التوربينات والمولدات والرافعات قد نسفت ولم يسلم من فتحات سكب الماء السبع والاربعين سوى اربع عشرة ولم يعد وجود لخزان الماء على الدنيبر . وتعرت الجلاميد القديمة . وهذا النهر الذي اعتدنا رؤيته هادئا صار يزبد من جديد بشلالاته كما في الزمن الغابر كانت شائعة في المشروع انذاك اشعار من نظم



واحد من بناة الدنيبروغيس :

تتلاطم الامواج على الصخر الاغبر ،
وتغسل شيب جلاميد دنيبر
سيظل الشاطىء يحفظ عبر الازمان
مجدا ابديا لحماة الاوطان

ثمة لفظة اوكرانية مجازية دقيقة المعنى واسعة الدلالة تعني الغلبة اى النصر . لقد تغلب السوفيتيون على كل شيء وتحملوا وانتصروا في اضرى حرب بين الحروب وبات عليهم الان «التغلب» على الخراب واحراز النصر في الجهد السلمي .

لقد ظللت طوال هذا اليوم القائظ الثقيل بلا نهاية افكر وانا اطلع على سير الامور مم تنبغي البداية هنا ؟ ويجب القول ان الاثر الذي تكون في نفسي كان قاتما الى حد بعيد . لقد نسف الفاشيست في المدينة المصانع السبعين كلها . وحين بدأ في «زابوروجستال» تصليح ماكنة الدرفلة اكتشفنا على كل اعمدة الصف الاوسط حروفا لاتينية كتبت بدهان احمر "F" (من كلمة «فوير» الالمانية اى «النار» وكانت الاسهم الحمراء تشير الى المكان الذي ينبغي ان توضع فيه المتفجرات بالضبط .

وكانت المدينة كلها ايضا تحت الانقاض، وحسبت اللجنة الحكومية ان ما دمر في زابوروجيه يربو على الف عمارة سكنية كبيرة واربعة وعشرون مستشفى واربع وسبعون مدرسة ومعهدان وخمس دور للسينما ومائتان وتسعة وثلاثون متجرا . وبقيت المدينة بلا ماء وبلا تدفئة وبلا كهرباء . ولحقت خسارة فادحة ايضا بالزراعة حول زابوروجيه .

ارسلتني لجنة الحزب المركزية الى هذه المحافظة في وقت عصيب . فقبل شهر من وصولي تقريبا في ٢٧ تموز عام ١٩٤٦ ظهرت في «برافدا» رسالة «لماذا يتخلف بعث «زابوروجستال» وجاء الجواب كالاتي : «عدم التنظيم هو السبب الرئيسي . فليس ثمة مخطط لتنظيم الاعمال ومكننتها وليس في الواقع جدول مواعيد ايضا . ويحسب تنفيذ الخطة لا بالحجم الفيزياوي وانما بالروبلات—ويزدهر في هذه التربة التمويه والنفاق ...» ثم نشرت «برافدا» مقالة جديدة تحت عنوان «ثلاث لجان حزبية ومشروع واحد» . وتضمنت المقالة نقد لجان الحزب في المنطقة والمدينة والمحافظة بسبب انها اذ تتدخل بلا نهاية في شؤون البناة لا تقدم لهم مساعدة كافية واحيانا غير كفوءة . وصدر اخيرا قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لعموم الاتحاد السوفيتي والقرار المرتبط به الصادر عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي لاوكرانيا «بصدد اعداد وانتقاء وتوزيع الكوادر القيادية الحزبية والسوفيتية في المنظمة الحزبية الاوكرانية» .

هكذا كانت الحالة ودار حول ذلك حديث صريح وعنيف في الاجتماع الحادي عشر للجنة الحزب الشيوعي البلشفي لاوكرانيا لمحافظة زابوروجيه والذي اشتركت فيه بعد اطلاع مسبق على المشاريع واتصلوا بي هاتفيا قبيل الاجتماع من لجنة الحزب المركزية وانا في زابوروجيه :

— تقرر ترشيحكم سكرتيرا اولا للجنة المحافظة اجروا اجتماعا .

ووصل الى زابوروجيه مدير قسم من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لعموم الاتحاد السوفيتي وكانت المسالة التنظيمية هي الثانية في الاجتماع : فحسب توصية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) العموم الاتحاد السوفيتي انتخبوني سكرتيرا اولا للجنة الحزب في محافظة زابوروجيه . كان ذلك في ٣٠ اب عام ١٩٤٦ .

ولاول مرة في حياتي شعرت شعورا واضحا جليا بهذا القدر بالمسؤولية امام الحزب والشعب عن سير الامور في محافظة برمتها . كانوا ينتظرون مني اكثر من العمل الشريف . كانوا ينتظرون مني تبدلات ملحوظة وتغييرات حادة . كانوا ينتظرون تجديد اسلوب عمل منظمة الحزب في المحافظة كلها والاسراع الشديد بوتائر البناء في جملة مؤسسات ولا سيما في «زابوروجستال» . وكنت ادرك جيدا ان هذه المهمة هامة للدولة من الناحيتين الاقتصادية والسياسية معا .

فنيم كان جوهر الامر ؟ كان القانون الخاص بالخطة الخمسية الرابعة للسنوات ١٩٤٦—١٩٥٠ الذي اقر في اذار عام ١٩٤٦ يقتضي بعث «زابوروجستال» : «استئناف انتاج الصفيح الرقيق المدرفل بالطريقة الباردة في الجنوب ...» سطر واحد فقط ولكنه ذو وزن كبير لدى الناس العارفين الا ان هذا المشروع لم يعطوه الاولوية اعتبارا بصعوبة المهمة . كان الحديث يدور عن ان رفع الاكوام وحده يتطلب بضع سنوات . وعبر عن اراء تفيد بانه من الاسهل انشاء المصنع من جديد في موقع آخر . هكذا مثلا نصح خبراء منظمة «يونرا» وهي المنظمة الدولية التي انشئت لمساعدة البلدان المتضررة من الغزو الفاشيستي . وقد كتبوا بعد ان زاروا زابوروجيه ان تعمير «زابوروجستال» هراء اصلا والارخص بناء مصنع جديد .

ليست لدي اية مسوغات لاعتبار هؤلاء الخبراء اشخاصا غير مؤهلين او غير مخلصين . فقد فحصوا كل شيء فحصا بالغ الدقة واستوضحوا كل شيء وقاسوا كل شيء—درجة الخراب ، ومستوى التكنيك وما يتوفر لدينا من الطاقة انذاك وتوفر الالات الرافعة والايدي العاملة وقس على ذلك . ولم يستطيعوا تقدير «شيء واحد» هو مدى حيوية شعبنا وصلابته والروح الوطنية لدى ابناء البلاد السوفيتية وهمة الحزب المنظمة .

وغفل عن ذلك الساسة وراء المحيط ايضا . يبدو انه كان بودهم جدا تصديق الجنرال الفاشيستي شتيولبناغيل الذي بعد ان ازيح من مشارف دنيبر ابلغ هتلر : «فترة طولها خمس وعشرون سنة—هذا هو الوقت الذي يلزم لروسيا لكي تعمر ما تخرب» وكان بود امبرياليي الولايات المتحدة الاميركية الايمان باحلك التخمينات لانهم في ذلك الحين كانوا قد غيروا تغييرا حادا موقفهم من الاتحاد السوفيتي حليفهم في الائتلاف المناوىء لهتلر .

وظهر ان التعامل مع الساسة الاميركان امر صعب عموما . وكان الرئيس فرانكلين روزفلت قد توفي . اما الادارة الجديدة التي احتلت البيت الابيض لقد نسيت فورا كل الوعود «القاطعة» السابقة والمعاهدات «المتينة» . فقد شرع الاميركان مثلا في صنع مجموعة كاملة من المولدات لدينبروغيس ولكنهم بعد ان باعوا ثلاث ماكنات اوقفوا الارساليات فجاة . وادرجوا الصفائح الفولاذية في عداد المواد الاستراتيجية وكفوا عن بيعه لنا فجاة ايضا .

في حين انه لايمكن بدون هذا الصفيح انتاج السيارات ولا الجرارات . ولعل الناس من الجيل الاقدم يتذكرون كيف كانت تسير في طرقنا في السنوات بعد الحرب سيارات الشحن ذات المقصورات الخشبية والاجنحة المصنوعة من الابلكاش .

وبدات «الحرب الباردة» وظلت سائدة سنوات طوالا بلغت عقدين من السنين في الواقع . ولم تكن تلك اول ويالاسف ولا آخر حالة حين حاولت الدول الراسمالية الكبرى تعويلا على مشاكلنا فرض ارادتها علينا والتدخل في شؤوننا الداخلية . وكان حسابهم بسيطا ، زعما بان الاتحاد السوفيتي على اية حال سيطلب هذه المكائن وهذا الصفيح الفولاذي فلا ملجأ آخر للشيوعيين وسيأتون متوسلين وسيركعون ... فماذا حصل هل هلكنا ؟ وهل تقهقرنا ؟ وهل اوقفنا حركتنا ؟ كلا ! لقد كبا حصان سياسة الحكماء فيما وراء المحيط . وهذا امر لا باس من تذكره اليوم لان ذلك فيه عبرة وينطبق على وقتنا .

وعرضت على العالم كله مرة اخرى الاحتياطيات التي لاتنضب للاقتصاد الاشتراكي وامكانات اقتصادنا المبرمج والقوة العظمى لبلاد تستطيع عند الضرورة اعادة توزيع طاقاتها وحشدها على المحاور الرئيسية .

وكانت النتيجة ان الاعمال في المشاريع المعنية هنا لم تتوقف بل انها على العكس جرت بسرعة متزايدة . فالتوربينات والمولدات التي الكرهها الاميركان علينا صنعها لنا عمال ومهندسون ومصممون من لينينغراد ونوفوكراماتورسك وبالرغم من ان المواعيد التي عينت لهم كانت غاية في القصر انتجوا ماكنات اكثر امانة واقوى من الاميركية .

ففي الربيع الباكر من عام ١٩٤٧ اعطت دنيبروغيس المنبعثة تيارها الاول . اما انتاج الصفائح الفولاذية فان الناس السوفيت صنعوا المعجزات اذ اعادوا اعقد انتاج خلال سنة واحدة فقط . وقد وضعنا المرحلة الاولى من مصنع «زابوروجستال» باسم سيرغي اوورجينيكيدزه (خمس ورشات كل واحدة منها كانت في الواقع مصنعا) حيز العمل خريف سنة ١٩٤٧ نفسها .

واني لسعيد لاني كنت شاهدا ومشاركا في تلك المنجزات الكبرى واننى اؤتمنت على قطاع هام للبعث بعد الحرب واننى عملت مع ابناء زابوروجيه في سنة لا تنسى . وما اكثر ما كان علي انذاك ان اعيد التفكير فيه وان افهمه وما كان علي ان اتعلمه لقد اجتزت هنا مدرسة بالغة الصعوبة .

—٢—

حين كنت عاكفا على هذه المذكرات رجوت العاملين في ارشيفات الحزب والسوفيتات ان يرسلوا لي بعض المواد من تلك السنوات . وانتهز الفرصة لاشكرهم على المساعدة : فانني نسيت تماما عددا من الوثائق والبعض الاخر منها رايته لاول مرة .

هكذا مثلا صفحات من محضر احدى الجلسات الاولى لمكتب لجنة المحافظة (ايلول عام ١٩٤٦) اتذكر اننا اجتمعنا طويلا . فقد تكدست قضايا كثيرة ينبغي حلها فورا . واليكم تعدادها وهو بعيد عن ان يكون كاملا :

تقرير لجنة الحزب لمنطقة نوفوفاسيليفسكي ، بصدد حراسة وحفظ الحبوب في نقاط الخزن ومؤسسات وزارة التموين ،

بصدد جلب مشتقات النفط لجني الغلة وخزن الحبوب في المحافظة ،

بصدد سير البذار الخريفي وحرث التربة في منطقتي فاسيليفسكي واوسبينكوفسكي .

بصدد قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لعموم الاتحاد السوفيتي ومجلس وزراء الاتحاد السوفيتي «حول التدابير للقضاء على انتهاك ميثاق الجمعيات الفلاحية في الكولخوزات» ،

بصدد التحضير لتنظيم الاحتفال بالذكرى الثالثة لتحرير زابوروجيه من الغزاة الالمان الفاشيست ...

وكان من السهل ان اغرق في هذا الوابل من الامور التي غمرتني دفعة واحدة والتي كانت تنتظر حلا سريعا . ولقد استنتجت وانا افكر فيها انه لا بد من العكوف على الامور الجارية فلا مفر من ذلك ولكن ينبغي ان توضع في مقام الصدارة مسائل تحسين العمل التنظيمي والحزبي السياسي تحسينا جذريا .

ولم تخدعني الانطباعات الاولى . لقد كان الكثير جدا من الناس في موقع «زابوروجستال» (في «اوج» البناء سبعة واربعون الفا) ولكن لم تتكون منهم اسرة . كان يعمل زهاء اربعين ادارة بناء ومنظمة مقاولة خاضعة لهيئات رئيسية مختلفة تابعة لوزارات مختلفة . وقدر لي ان اصطدم فورا بتفرق هذه المكاتب وبالخلافات التي لا نهاية لها والاتهامات المتبادلة . كانوا يبداون العمل في كل مكان ولكنهم لا ينهون شيئا في اي مكان . كان مستوى الانضباط متدنيا ولا تفاعل وتعاون . وبعبارة اخرى لم يكن شيء مما يجعل جمهور الناس اسرة متناسقة .

وصار همي الاول توفير وضع الدقة والمحاسبة الحزبية . ما من احد يبدأ اليوم ببناء بدون جدول مواعيد اما انذاك فقد كان البعض من القادة يبرهنون عن جد ان جدول المواعيد غير صالح في ظروفنا اصلا . فان هذا على حد زعمهم ليس ببناء «طبيعي» فنحن نرفع الانقاض ونجر الانابيب والقضبان والسكك والاجزاء السالمة من الماكنات فعمل كهذا لا يقبل تحديد المعدلات .

ودخل ذلك في الممارسة فكان الناس يعملون بلا معدلات وكانوا يقيسون انتاجية العمل بالنظر وبعبارة اخرى كانوا يكيفون الخطة للقطاعات المحرجة ويسوون بموجبها وتائر النمو وينطلقون مما يمكن اللحاق في فعله خلال نوبة او شهر وليس مما يجب فعله ولا بد منه تماما .

كان لابد من التغلب على هذه الامزجة وكان علي ان اتحدث عن ذلك بصفة خاصة في احد اجتماعات لجنة المدينة (حسب اوضاع ذلك الوقت كنت سكرتيرا اولا ايضا للجنة المدينة) . ويتضح من اختزال المحضر انني وبخت البناة : «انظروا ففي الزراعة حيث يجري عمل البذار انتقي كل مساء بلاغا واستطيع التدخل والمساعدة وامداد المنطقة المتخلفة بالوقود وقطع الغيار . اترانا لا نستطيع التوصل الى ان يكون مثل هذا الوضوح لدينا في موقع البناء ؟ هب يصعب حتى الان وضع جدول مواعيد للمجموعة الضخمة كلها ولكنه في المشاريع الجاهزة للتشغيل والحاسمة ضروري تماما . واضفت ، اذا لم يكن جدول مواعيد واذا لم تكن في ايدينا وسيلة يمكن بها الاشراف والمطالبة والتشجيع والعقاب اذا اقتضى الامر فلا يمكن حتى التفكير في اي دفع للقضية الى الامام بقوة» .

وايد رأيي لجنة المحافظة بنشاط كل من مدير مصنع زابوروجستال كوزمين الذي كان يعمل هنا قبل الحرب ايضا والمدير الجديد لاتحاد «زابوروجستروي» (اتحاد مؤسسات البناء—المترجم) ديمشيتس الذي وصل الى هنا على اثري . كان هذان الرجلان متباينان في كل شيء ولكنهما يكمل احدهما الاخر على نحو ناجح الى حد عجيب .

فاناتول نيكولايفيتش كوزمين وهو رجل متوسط القامة بدين يعلق على انفه نظارة ما كان يرفع صوته ابدا قدر ما اتذكر . كان بسيمائه نموذج المهندس المثقف ولكن بعد مضي وقت طويل فقط علمت انه من اسرة بروليتارية . كان فيه كل شيء : سعة الاطلاع والذكاء والنشاط والحيوية . وكانت له مكانة عالية لاتناقش في شؤون الانتاج . ولكن اكثر ما ظل في ذاكرتي هو سكونه . فثمة قضية لا تدبر والخطة تحبط اما اناتولي نيكولايفيتش فهادىء المظهر وتحققت نجاحات وعقدت الاجتماعات وهو هادىء ايضا انه رجل رصين عملي .

لقد قدر عليه ان يجتاز في المصنع وقتا عصيبا ففي عام ١٩٤١ حين خرجت القوات الفاشيستية الى الشاطىء الايمن لدنيبر صارت تقصف المدينة .

وظل جيشنا البطل محتفظا بالشاطىء الايسر طوال خمسة واربعين يوما . وخلال ذلك الوقت اجلي من «زابوروجستال» وحده تسعة الاف وستمائة عربة من اثمن المعدات . لقد كانت تلك ماثرة . اذ كان الناس يفككون اعقد الماكنات ويغلفون قطعها ويشحنونها الى ارصفة المحطات ويرسمون العلامات ويضعون مخططات التركيب . كل ذلك تحت قصف المدافع ورمي القنابل . وكل ذلك باشراف كوزمين . ولم يغادر المصنع الا كما يغادر السفينة ربانها اخر القوم وقبل نصف ساعة بالضبط من اقتحام الهتلريين ارض المصنع .

وبعد نصف عام اخذ فريق من عمال الدرفلة الزابوروجيين يعملون في نوفوسيبيرسك بماكنة التصفيح الرقيق . وقد ساعد القابلو الكهربائي الذي لحقوا في استخراجه من الانفاق تحت الارض (اكثر من تسعمائة كيلومتر) على اكمال اعداد عشرات المصانع الدفاعية في شرق البلاد . اما القسم الاساسي من معدات زابوروجستال فقد ارسل الى ماغنيتوغورسك حيث سرعان ما تم بناء ورشة التصفيح المتوسط التي زودت البلاد بدروع من الفولاذ الممتاز .

اما ديمشيتس فهو بطباعه نقيض تام لكوزمين كان في ارائه باتا احيانا ولكنه كان ايضا يعرف استراتيجيا العمل ويمكن القول انه كان استاذا في القيادة التكتيكية .

كان يهوى الحلول الهندسية الجريئة وقادرا على عضد العامل المجدد وعلى افحام الثرثار . والبناة عموما قوم له خصائصه : ففي اجتماعاتهم كنت تسمع احيانا عبارات بعيدة تماما عن ان تكون برلمانية واريد ان لا افوت الفرصة لاقول ان كوزمين الدمث الطباع المحب للخير كان هو ايضا قادرا في هذا الوضع على الذود عن موقفه ذودا مبدئيا وصلبا .

لا يوجد بين البناة والمشغلين وفاق عادة ولكن كوزمين وديمشيتس كانا يجدان دوما لغة التفاهم فلا اتذكر خصاما بينهما . وكانت لجنة الحزب للمحافظة تؤثر في علاقاتهما باستمرار . وكان كلاهما متفقين معي في مسالة جدول المواعيد منذ الايام الاولى فكانت النتيجة ان غدا واقعا . وكان جدول المواعيد الصارم لاربع وعشرين ساعة يربط في كل واحد الاعمال التي تؤديها ادارات مختلفة ويساعد على ضبط المواعيد الثابتة لتشغيل المشاريع . وكان ذلك نصرا عاما لنا .

كانت جداول المواعيد الموضوعة بدقة تستنسخ في المطبعة في هيئة كراسات صغيرة . وكانت هذه الكراسات توزع على رؤساء البناء وعلى الاسطوات ومديري الاعمال والعاملين في الحزب والنقابات والكمسومول والصحفيين الذين يقدمون الى موقع البناء . وقد مهدت للعلنية وهي امر ضروري ايضا لنشؤ اسرة العاملين . فان يظل الفرد يتلكا في مكانه بدون ان يرى ما يجري حوله شيء وشيء اخر تماما حين يكون مطلعا على كل ما يجري في موقع البناء وعارفا بمكانه في الصف العام .

الا ان استخدام جدول المواعيد نصف القضية طبعا اذ لابد من التوصل الى مراقبة يومية لتنفيذه والى تقديم الحساب بشكل واسع وعلني ايضا . وقد حل البناة هذه المهمة ايضا اذ شكلوا هيئة تنسيق وصار غريغوري لوبينيتس كبير المنسقين وهو الان وزير بناء مؤسسات الصناعة الثقيلة لجمهورية اوكرانيا السوفيتية الاشتراكية . (بشكل عام نشأ في مصانعنا ومشاريعنا عدد غير قليل من القادة الحزبيين والاقتصاديين الاكفاء) . كان هذا حينذاك فتى قوى البنية في ريعان الصبا يجلس محاطا بعشرات التلفونات وماكرا في رؤية وتذكر كل شيء وانجاز المطلوب في كل مكان فاذا حانت الساعة ١٧٫٠٠ حين كان يقدم تقرير التنسيق اليومي تراه قادرا على ان يجيب عن اي سؤال ينجم . فانتهت المشاجرات الفارغة والتحجج بان شيئا ما لم يؤمن ولم يجلب . فقد كانت المعطيات دقيقة دوما .

كان يعجبني حضور اجتماعات البناة . فاللقاءات الفورية كانت تجري لديهم فورية فعلا وذات الدقائق الخمس لاتمطل لساعتين . غني عن البيان ان هذا كله لم يتم بسهولة فقد كان لابد من التغلب على العادة ومكافحة نفسية «لعل وعسى» ولكن بدأ النظام يتعدل تدريجا واتخذ البناء ايقاعاته وحين كان يحدث التباس كان يحل بدون تاخير .

اتذكر اننا عقدنا في القاعة الصغرى للجنة المحافظة في مستهل ايار عام ١٩٤٧ اجتماعا للنشطاء الحزبيين والاقتصاديين لزابوروجستروي والقى ديمشيتس تقريرا عن سير الاعمال وخطب كوزمين ايضا فراح يعدد بتفصيل غاية في الدقة المطاليب من البناة وتحدث العمال . وكان علي ان اختتم الاجتماع فاكدت انه من الضروري تركيز الجهود في مشاريع التشغيل . وكانت هذه انذاك هي محطة الكهرباء والتدفئة وفرن الصهر العالي :

— ان الوضع يتكون بشكل غير اعتيادي الى حد بعيد . فحتى مع وجود اغنى خبرة عليكم الاعتراف بانكم تواجهون لاول مرة وتائر للبناء كهذه ونطاقات كهذه . وموعد التشغيل بالنسبة لكم جميعا حتمي واننا لن نلحق بالمواعيد بدون حشد الطاقات في مشاريع التشغيل وبدون تكوين القبضة الضاربة ان صح التعبير . ففي بعض القطاعات ومنها المشروع الهام مثل الفرن كنا حتى الان نعمل لا بقبضة كما يقال وانما براحة مبسوطة . وهذه ليست ضربة قوية .

لقد كنا جميعا نتعلم في تلك السنة هذا الاسلوب —جمع القوى في قبضة—ثم تسلحنا به . وقد لحظته البلاد كلها وقدرته . واعترف بتعمير «زابوروجستال» ودنيبروغيس نموذجا كلاسيكيا لتركيز وحشد الطاقات والوسائل في القطاعات الطليعية للبناء الشعبي العام . وفيما بعد صار يدار على هذا النحو بالذات كثير من مشاريعنا الكبيرة . فهكذا شيد قرن الصهر الضخم رقم ٩ في كريفوي روغ والماكنة «٣٦٠٠» في جدانوف ومصنع السيارات فولجسكي وكاماز . وهذه التجربة يستخدمها اليوم ايضا عمال النفط والغاز في تيومين وبناة خط السكة الحديدية البايكال امور .

وانتهز الفرصة لانوه بالترابط الوثيق للغاية بين امس البلاد والطريق الذي اجتزناه وبين طرح المهمات الجديدة . فتزداد من سنة الى سنة سعة خططنا ومقاييس المشاكل وصعوبتها فلابد من معالجتها على مستوى جديد وبطريقة جديدة . ولكن لا بد عند ذلك من الاعتبار بالممارسة البالغة الغنى لبناء الاشتراكية والخبرة التاريخية لدى الحزب والجماهير الشعبية .

فالان على سبيل المثال برنامج ذو اهمية خاصة هو استثمار بطون سيبيريا الغربية استثمارا شاملا وتطوير القوى المنتجة . وهذا حقا مشروع عظيم في زماننا يفوق بسعته وحجم الاستثمارات المالية وتعقد مهمات التكنيك والنقل كل ما كان لدينا في السنوات والخطط الخمسية السابقة . فالاحرى اذن منع بعثرة الطاقات هنا باعتبار الخبرة المختزلة . وتبرز بالحاح متزايد مهمة تعبئة الموارد في الوقت المناسب على المحاور الرئيسية وتعيين الاسبقية تعيينا صائبا اي توالي معالجة المشاكل تبعا لاهميتها للاقتصاد الوطني .

القدرة على اكتشاف الحلقات المحددة حيث يمكن بادنى حد من النفقات الحصول على مردود اكبر وسريع والقدرة على تناول كل مهمة لحلها من وجهة نظر النتائج النهائية—في هذا بالذات يكمن فن التخطيط بل الادارة الاقتصادية عموما .

باختصار اذا تحدثنا بلغة لينينية ان افراز تلك الحلقات التي نستطيع اذا ما امسكنا بها جر السلسلة كلها لايزال يتسم لدينا باهمية حاسمة ولقد بدأت افهم ذلك وادركه بشكل حقيقي لاول مرة على اساس تجربتي في السنة المجهدة والكفاحية سنة مشروع زابوروجيه .

—٣—

لقد كان لا بد منذ ايامه الاولى ، الى جانب العمل التنظيمي كما سبق ذكره ، من ايلاء اهتمام كبير بالعمل الحزبي السياسي . وكانت هذه المسائل تعالج في وقت معا في الواقع . وكانت الصعوبة تكمن في ان كل شيء لدينا انذاك كان في حركة خلافا للاسر العاملة التي ترسخت . اذ كان لابد من معالجة مسائل السكن والمعيشة ومجال الخدمات اذ كان يقدم الى المشروع كل يوم مئات من الناس عسكريون مسرحون ومرحلون من محافظات اخرى وعمال التعدين اصحابنا الذين من سيبيريا والاورال والسكان المحليون الذين سيقوا الى المانيا والشباب من المزارع المجاورة . وكان الناس يدرجون في القوائم الحزبية . وكان ينبغي في سير العمل مراقبة قيمة كل فرد .

كانت صفوف الحزب ترفد بخيرة العاملين في المشروع . وقبلنا في صفوف الحزب الشيوعي (البلشفي) لعموم الاتحاد السوفيتي في زابوروجستروي خلال النصف الاول من عام ١٩٤٧ زهاء ضعف العمال الذين قبلوا في عام ١٩٤٦ كله وكان بينهم على سبيل المثال المركب ايفان روميانتسيف الذي دوى اسمه في تلك السنوات وهكذا كانت تتقوى النواة الكفاحية للاسرة المؤلفة من الوف عديدة وكان من المهم تذكير الناس بان سكرتير اللجنة الحزبية هو قبل كل شيء قائد سياسي وان كل شيوعي هو محارب سياسي .

وكان علي في احد اجتماعات لجنة المحافظة ان انتقد سكرتير لجنة الحزب الشيوعي البلشفي لاوكرانيا لمنطقة نوفوفاسيليفسكي . كان هذا بشكل عام انسانا جيدا ذا مبادرة ولكنه اولع اكثر من اللزوم بالامور الاقتصادية وانغمر فيها . وقد قلت انذاك ان سكرتير لجنة المنطقة هو قبل كل شيء عامل سياسي كبير وممثل لجنة حزبنا المركزية في منطقة ادارية كبيرة . وان خطب البعض من السكرتارين عندنا شبيهة بتقارير الاقتصاديين فانت لاتشعر فيها بالخط السياسي . ها هو سكرتير نوفوفاسيليفسكي قد اجاد الكلام عن الجرارات والجاموس وما ان وصلت القضية الى العمل الحزبي حتى تعثر . هذا لا يصلح ! فاول ما يلزم في العمل الحزبي تحليل الوضع تحليلا سياسيا . انذاك ستعرف من اي جانب تتناول الشؤون الاقتصادية ايضا .

لقد كنت اسمع دوما في تلك الايام حين كان بناة «زابوروجستال» متخلفين وحين كان دنيبروستروي يعاني مشاكل كبيرة هاتوا سمنت تسر القضية على مايرام . كانت ثمة نواقص طبعا ولكن كان واضحا في الوقت نفسه ان الناس نسوا التفكير في هفواتهم فوراء الجلبة والجدل والمشاكل العارضة كان ينجرف الافق ويضيع الامر الرئيسي . واني حين اتصفح الان المحاضر المختزلة للاجتماعات والمؤتمرات واللقاءات ارى كيف كان علي غالبا انذاك ان اتحدث عن هذا بالذات .

— الاسمنت لازم طبعا . فانت لا تعجن الخرسانة بدونه . ولكن الاهم من ذلك كثيرا ان يفهم الشخص الذي سيطرح الخرسانة في السد علام ينبغي طرح هذه الخرسانة ودكها على ارتفاع اربعين مترا والزمهرير بدرجة عشرين . لقد كان لدى الهتلريين الكثير من الماكنات ومن كل مايلزم للمعركة . ومع ذلك انتصرنا لاننا نحن والجنود الذين كنا نقودهم الى المعركة كنا ندرك عن عمق باسم ماذا نمضي الى اقتحام استحكامات العدو التي تنفث النار والهلاك ولهذا بالذات فان المنظمات الحزبية ملزمة بان تضع في مقام الصدارة من عملها مهمات تربية الانسان . حينذاك ولمناسبة المقام سوف يأتي الاسمنت وكل ماعداه اسرع بلا شك وستسير الامور عندنا افضل بكثير .

لم يكن من النادر ان نتذكر الحرب في خطبنا لا لمجرد ان امثلة الجبهة كانت حينذاك قريبة ومفهومة على نحو خاص وانما ايضا لان الوضع بمجمله كان يذكر في تلك السنة بالوضع الحربي وكانت مواقع البناء سوح المعارك . واتذكر جيدا لقائي الاول مع العاملين في دنيبروستروي . فعقب مباشرتي العمل تشكلت بناء على قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لعموم الاتحاد السوفيتي لجنة الحزب لمنطقة دنيبروستروي التي ضمت شيوعيي المشروع الضخم . وجرى مؤتمرهم الاول في جو عملي ، وتحدث العمال والمهندسون ورؤساء المصالح فاثاروا مشاكل تكنيكية حادة وتحدثوا عن العيوب ولم يخل الامر من تبادل اللوم كنت جالسا وراء منضدة الرئاسة واصغي بانتباه وسجلت بعض الاقوال في مفكرتي . ثم طلبت الكلام .

ربما كان البعض يتوقعون ان يفصل سكرتير لجنة المحافظة من هو المحق من المتحدثين ومن المذنب . ولكني تحاشيت التدخل في الجدل عن عمد لقد ارتأيت ان ذلك سابقا لاوانه في اول لقاء وقلت انني لن اتحدث عن تكنيك بناء السد عموما فهم يفقهون هذه الامور بدوني . وسيكونون اكثر فائدة اذا ما ركزنا الانتباه الان في العمل التنظيمي والسياسي . واعتزمت للبداية ان اتناول ثلاث مسائل رئيسية : الانضباط في المشروع والنقد الذاتي وتطوير المباراة الاشتراكية .

«كيف هي حالة المباراة عندنا ؟ اقول بصراحة سيئة جدا . ففي ايام الحرب الوطنية ولاسيما في مراحلها الحاسمة حين كان يتأمل بالقوات واجب صعب ، وبالرغم من انعدام المواد والورش وما عدا ذلك كان التحريض المنظور يستخدم بمنتهى النشاط . مثال ذلك حين تاهبوا للتحريض كيف

توزعت القوات في الغابات ولكن لم يكن ثمة مكان يخلو من لافتات وشعارات مرئية . وكان بوسعكم ان تشاهدوا شجرة شق لحاؤها ، فكتب عليهـا «ستعلى كييف !» وعلى قطعة من الابلكاش عبارة «ايهـا المحارب ستكون غدا في كييف !» مع هذه النداءات الموجزة المكتوبـة على الدبابات والعربات والسيارات اينما كان ذلك ممكنا–سرنا نحو برلين ايضا وحررنا براغ . ولقد كنت اليوم في المحطة وفي السد . فلم ار شيئـا من هذا القبيل لا شعارا ولا نداءا ولا اسم واحد من الطليعيين ولا رقما واحدا يبين في سبيل ماذا واين نناضل . هكذا هي حالة بروز المباراة .

ثـم ورد في الحديث ان على اللجنة الحزبية ان تعرف كل الطليعيين في العمل . وليس معرفتهم فقط فينبغي أن تغدو منجزاتهم والاهم من ذلك اساليبهم ملكا للبناة جميعا بمساعدة المحرضين والدعـاة وينبغي أن تصبح نسبة تنفيذ هذه الفرقة او تلك الخطة معروفـة غدا عبر الصحافة وعبر الاذاعـة وبواسطة المنشورات . ونحن ملزمون باستخدام كل ترسانة الوسائل التي اختزنها الحزب . واذا مـا توصلت اللجنة الحزبية الى فعالية المباراة وجعلها جماهيرية حقا فان دنيبروغيس ستشغل في الموعد اما اذا ظلت اللجنة الحزبية تتعرف ببلاغ قسـم التخطيط فقط ، فـان هذا ليس قيادة المبـاراة الاشتراكية ... **صوت من القاعة** : وعندنا في معظم الاحيان لا يحكمـون الا بالبلاغ ! اذن ينبغـي التخلص من ذلك . فالمبـاراة مرهونـة مباشرة بمستوى العمل داخل الحزب . وكل واحد منا يعرف ان الحزب حين يعتزم حل مسالة معقدة يقوى العمل داخل الحزب . فاذا كان في المشروع انضباط حزبي صارم فسنشيع النظام وسيتحسن العمل كله .. اذ ليس ثمة امر أقوى لدى الشيوعي من امر الحزب...»

انني اذ اقرأ هذه الخطب اليـوم الاحظ اعادات ولكنني الان ايضـا استحسن واؤيد هذا الموقف عمومـا . لان الخط ، الخط السياسي ، لا يرتسم الاعندما تسعى الى الهدف المرسوم يوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وتطور افكارك غير متنكر لكلماتك ولا ناسيا قراراتك . وهذا محضر آخر يدورفيه الكلام امام مستمعين اخرين اما الموضوع فنفسه :

«... مضطر كذلك الى ان اشير ، يارفاق ، الى ان التحريض المنظور لايعكس عندكم بتاتـا سير البناء وسعته . فالدعوات العامة ما ساعدت احد .» «زابوروجستال درة الجنوب !» اهي لافتة جميلة ؟ نعم جميلة ، اهي صحيحة ؟ صحيحة طبعا . ولكن ما الذي تعطيه والى ماذا توجه ؟ نحن بحاجة الى دعوات محددة الى العمل ، بحاجة الى لافتات فيهـا ارقام وتواريخ واسمـاء المهندسين المجددين واتبـاع ستاخانوف (صاحب الحركة الطليعيـة في الانتاج المترجم) عمال المهن القائدة . وليس اولئك وحدهم الذين يمكن القول ان اسماءهـم ثبتت مـرة والى الابد وانما الجدد تلو الجدد من اولئك الذين اندفعوا اليوم في المباراة الى الامام . علينا ان نبين للشعب هذه الكتيبة الرائعة من كادحي زابوروجستروي !»

كان العمل التنظيمي والسياسي كلاهمـا يقودان الى الهدف الواحد . كانت لجنة الحزب للمحافظـة تسعى الى ان يغدو جمهور الناس اسرة ولكي ينشا في الاسرة قادة اشخاص ملحوظون ساطعون . ولقد نشا طبعا الكثير من هؤلاء . وكنت اعرفهم لا سماعا لقد كنت اذ ازور المشاريع اتحدث اليهم في مكان عملهم . وانت في هذا الوضع كما في خندق المعركة تعرف الانسان خير معرفة .

هاكم مصيرا عجيبـا . كنت كل مرة حين ازور دنيبروستروي اسمع من بعيد الاصوات الرنانـة للفتيات اللواتي كن يقدمن الخرسانة لتطرح في بنية السد . كانت رؤوسهن ملفوفة حتى الحواجب بالمناديل التي يعلوها غبار الاسمنت . ومـا كن يفقدن الانشراح ابدا غيـر مباليات بالحر والبرد واذا سالتهن كيف الحال رنت في الجواب دومـا كلمة «حسنة !» كانت تلك فرقة انيا لوشكاريوفا المسجلة في سجل الشرف للجمهوريـة . وفي احد الاجتماعـات التي حضرتهـا الفرق الطليعيـة والكسمولية والجبهوية اقبلت علي في فترة الراحة فتيات متانقات فلم اعرف فورا صاحباتي القديمات .

– ولفرقتكن ايضا جبهوية اليس كذلك ؟

– كانت جبهوية .

– كلا يا انيا . لا اتفق معكن . امامنا ليفنـان وتلزم خرسانة جيدة . ويتوقف عليكن جودة عمل الفرق كلها . جبهتكم لاتزال في الامام .

كانت الفتيـات يعملن جيدا . وشاهدتهن خلال الاحتفال بالذكرى الثلاثين لاكتوبر وسط المتظاهرين لصحت لي الميكروفون «تحيـة للفرقـة اليـسـا لوشكاريوفا !» التفتن وابتسمن ...

وسرعان ما عرفت ان انيا مريضة مرضا عضالا لقد اثرت الطفولة الجائعة ايام الحرب وانفتح لديها السل . لقد فعلنا طبعا كل ما يمكن لكي تشفى انيا وعرضنا عليها عملا اخر ولكنها رفضت رفضا باتا «لااستطيع بدون المشروع وبدون الفتيات» .

وحصلت انيا لوشكاريوفا لقاء تعمير دنيبروغيس على وسام لينين . وبعد بضع سنوات التقت طرقنا من جديد في ملدافيا . كانت قد شفيت وتبنى مع زوجها محطة دوبوصارسكايا الكهرمائية . وانا على يقين من ان ما شفاها ليس الادوية وحدها ومصحات الجنوب . فانيا انقذت نفسها بنفسها اذ ظلت محتفظة بحيويتها ولم تترك العمل ولم تتقوقع وعاشت حياة حافلة . وقد روى لي مؤخرا ان انيا ستيبانوفنا ربت اربعة اولاد اصحـاء وتعمل مديرة لمسكن عمالي واظن انها مرشدة جيدة للشباب .

وتعرفت في موقع اخر للبنـاء بمركب الانابيب ايفان رومانتسيف . كان هذا الفتى اليافع انذاك الجميل ذو العينين الرماديتين مبتكرا وذكيا واستاذا حقيقيا في عمله . ولعله اصبح عاملا في وقت مبكر كان ابوه قد استشهد في الجبهـة فاعتزم مساعدة والدته . ولكنه استكمل مـا لم يحصل عليه في المدرسة بحب الاستطلاع والتجربة والموهبة . وبنى ايفان مؤسسـات كبيرة في ياروسلافل وغوركي وتشيرتشيك . اما عندنـا فقد كان يعمل في زابوروجستروي . وهو الذي اقترح طريقة جديدة في ذلك الوقت لتركيب الكتل الكبيرة .

وشرح ذلك لي قائلا :

– نجمع الانابيب على الارض . ونقومها ونعدلها ونلحمها في حلقـات . فالعمل هكذا اسهل واسرع طبعا . ونرفع بالرافع او بالبكرة القطع الجاهزة الى الاعلى فلا يبقى الا تركيبها في كل واحد لاشيء من الحيلة هنا !

– او ليس هذا مجازفة ؟ اليس خطرا على الناس؟

ابتسم وقال :

– مخيف للنظر اما الايدي فتصنع . بل لا تقلقوا يا ليرنيد ايليتش ، لقد حسبنا كل شيء مسبقـا وفحص المهندسون ذلك .

الانابيب في التعدين كثيـرة وهي تربط كل الورش وتتشابك في كل الاتجاهات ، كان ذلك قطاع عمل شاق . فنصحت اعضاء المكتب الحزبي لادارة التركيب بان يرجوا رومانتسيف ان يتحدث فـي اجتماع حزبي عـام . ونشرت جريدتنا «ستروبتل» ريبورتاجا عن الاجتماع ثم نشرت «برافدا» مقالـة كبيرة بعنوان «تجربه ايفان رومانتسيف – لجميـع المشاريـع» فدارت الطريقة في البلاد على نطـاق واسع .

وفيما بعد عمل ايفان الكسندروفيتش في بنـاء قصر الثقافة والعلم في وارشو وساعد على تركيب مجمع بهيلاي للتعدين في الهند ...

كان الكثير من هذه اللقاءات ولا يحصيها عد فلا يزعل الرفاق الذين لم استطع ذكرهم هنا . فانني ما نسيتهم .

— ٤ —

واذكر بشكل عام ان تذكر الاشخاص ولاسيمـا الاشخاص الفاضلين واجب انساني على العامل الحزبي وواجب مهني . والاختلاط معهم ضروري دوما . فهو يغني العامل الحزبي ويوثق صلته بالحياة ويساعده كمـا يقال على ان يعرف افكار الناس ومصالحهـم وحاجاتهم من مصدرها الاول . واخيرا فما يسر النفس ان تكتشف انسانا فاضلا عاملا وفلاحا وبناءا ومزارعا ورساما وصحفيـا وعالمـا . ما كنت بتاتا ابخل بالوقت على ذلك بل ان طبيعـة العمل الحزبـي والسياسي يمهد لذلك لحسن الحظ .

وزعنا في احد جلسات المكتب في زابوروجيـه الواجبات على سكرتاريي لجنة المحافظة . واذكر تلك التي كانت من نصيبي : قيادة المحافظة بشكل عام واعداد المسائل لجلسات المكتب وشؤون الزراعة والدعاية والتحريض وادارة عمل هيئـة التخطيط ولجنـة الكمسمـول فـي المحافظة ودوائـر وزارة امن الدولة ووزارة الداخلية والادعاء العـام ومسائـل الكوادر . والشيء الرئيسي في هذا العمل كله الناس والشيء الرئيسي فهمهم وكونك مفهوما لديهم .

ليس في عمل السكرتير الاول قضايا ثانوية . مثلا استقبال الاهالي هل يمكن ان لا نعده هامـا ؟ في وقت غيـر بعيد تحدث بالتلفزيون المركزي سائق حفارة قديم من «زابوروجستال» . فروى الحادثـة التالية . اضاعت زوجته كل بطاقات التموين . فظل اربعة اشخاص بلا طعام طوال شهر تقريبا . ويقول انه ذهب لمراجعة السكرتير الاول للجنة المحافظة فاوعز هذا بمساعدته . لقد نسيت هذه الحادثة من وقت طويل . اما الشخص فيتذكرها . لقد كان ذلك عندئذ هاما لحياته .

وحكاية بطاقات الخبز حادثـة رمزية . اذ تختفي وراءه المشاكل الضخمه التي عانيناها . فقد كلفنا جمع الحبوب من الحقول وحفظ هذا الخبز وتطوير تربية الماشية تطويرا يكاد من لاشيء وفي الحظائر المهدومة المحروقه كلفنا ذلك جهودا لاتصدق بعد خراب الحرب . كـان لابد من بذل جهود ضخمة لتدبير التغذية في مطاعـم العمال وتوفير المواد التموينيـة لمؤسسات الاطفـال والمستشفيات التي كان علاوة على ذلك لابد من بنائها من جديد . كان صعبا صعوبه تفوق التصور توفير المساكن لعشرات الالوف من الناس . «لا يمكننا ان نسلم المصنـع ونحن لانملك مسكنا» كان كوزمين يكاد يكرر ذلك في كل اجتماع وكان على حق طبعا . واستطرد لاقول ان زابوروجستروي هو الذي طبق في فترة تعمير المدينة طريقة التجميع السريع المتواصل التي قصرت ثلاث مـرات المواعيد الاعتياديـة لبناء البيوت ولا تنسوا ان البيوت لم تكن انذاك مثل الان منمطة فكان لابد من تعمير «العلب» المختلفة والمهدومـة باشكال مختلفة . وتم في عام ١٩٤٧ تسليم مساكن مساحتها خمسة وخمسون الف متـر مربع وهذا انجاز ضخم حسب تلك الاوقات ...

جرى الكلام حتى الان في الغالب عن دينبروغيس و«زابوروجستال» . ولكن هذا لا يعني بتاتا انه لم يكن في المدينة والمحافظـة مشاريع اخرى تتطلب اهتمامـا لا يفتر . كان يجرى مثلا تعمير مصنـع الحاصدات الدارسات «كومونار» . في البداية كان ينتج في الورش شبه المهدومة الحاصدات–المكومات ويساعد الفلاحين على تصليح الحاصدات السالمات ويصنع لها اذرع القص . وكان هذا هاما جدا لنـا وفي خريف عام ١٩٤٦ طالب مكتب لجنة المحافظة بتعجيل انتاج ماكنة جديدة اكمل . وجرى في المكتب ربيع عام ١٩٤٧ الحديث عن انتاج الحاصدة «س–٦» انتاجا مسلسلا . واشير في اجتماع لجنة المحافظة في شهر اكتوبر الى ان انتاجها ازداد في الربـع الثالث ٣ر٣ مرة قياسا الى الربع الثاني .

اننا حين نرنو الى الوراء ونتذكر ما انجز، نستقي عادة من هذه التجربة ما يصلح اليوم وما هو نافع في المستقبـل . ولقد اقتنعت في الوقت الصعب الشديد من ممارستي الخاصة بصواب الطريقة التي غدت لدينا تقليدية : كان مكتب لجنة المحافظة يعود دوما وباصرار وحساب الى المشاكل المعقدة . فطالما وضعت مهمة ينبغي المضي بحلها حتى النهاية ! وتثبت مع السنين في هذا الموقف : وهو ان زيادة التنظيم والانضباط والمسؤولية لاتنفصل عن تمحيص تنفيذ القرارات . ولو ان قادتنا الاقتصاديين نفذوا تمام التنفيذ كل القرارات التي اتخذوها هم انفسهم لما عاد وجود لكثير من النواقص منذ وقت بعيد .

ولي وقت ما برزت في زابوروجيه بحدة كبيرة مشكلة المواد الانشائية المحلية التي كان مرهونا بهـا كل من دنيبرستـروي وزابوروجستـروي و«كومونـار» المذكور ايضـا وبناء المساكن في المحافظة كلهـا ، وكمـا هو المعتاد كنت اسمع احتجاجات بالصعاب الموضوعية وكانت ردود كتابية واعتذارات شتى وخيل انـه يستحيل فعل اي شيء لكننا استمعنا في المكتب لهذه المسالة خلال اذار عام ١٩٤٧ وعدنا اليها خلال ايار ولم ننس المراقبة اليومية فمنذ النصف الثاني من السنة اختفت كلمة «طابوق» من محاضرنا . لقد حلت المشكلة . كان لابد من معالجة مسائل اخرى لاعلاقة لها بالاقتصاد وبالمشاكل المعاشية ولكنها كانت هي ايضا هامة لانها تمس مصائر الناس . كانت اجهزة الامن تتولى العمل للبحث عن الخونة الذين ساعدوا الفاشيست وعملوا في البوليس والمنكلين والذين اندسوا في كل الشقوق ، ولفضحهم . كان يجب ان لا يفلتوا من العقـاب . ولكن كان ينبغي ادارة هذا العمل باقصى درجات الانتباه والحذر كيلا يهان اشخاص شرفاء بالاشتباه . وكانت المساهمة الحزبية في هذه القضية لازمة . وكان علي ان اؤكد خصيصا انـه لا يجوز الاشتبـاه بخيانة كل من بقي في الاراضي المحتلة بدون مشيئته .

ومن جهة اخرى يجدر بالاشارة ان الوقت الذي اعقب الحرب كان يتطلب يقظـة خاصة . فما كان اسبوع يمر بدون حوادث استثنائية مختلفة . وكان لاتزال تظهر حتى عصابات مسلحة . وكنا نسمع في الليالي تبادل اطلاق النار . كنت كثير السفـر بالطـرق ولا يندر ليلا ، ووحيدا ، اسوق السيارة بنفسي . ولكـان من بواعث الاسى لو اني اصبت برصاصة طائشة وانا الذي اجتزت الحرب كلهـا ولكني ، واقول صراحة ، لم يكن لدي وقت للتفكير في السلامة الشخصية ، وكان يشغل بالي شيء آخر فقد كان ينبغي ضمان امن الاهالي جميعا وحياتهم الهادئة .

كان على مكتب لجنة المحافظة ان يصدر في شباط عـام ١٩٤٧ قرارا خاصا بصدد التدابيـر لتشديد مكافحة الجريمة . واتذكر انه قد قيل اننا ملزمون بان نرمي الى هذه الجبهة بالشيوعيين والكمسموليين وبتقوية اجهزة حفظ النظام وتطهيرها من الاشخاص المتخاذلين : . «طالمـا ارتكب هذا الشخص فعلا منافيا للاداب ، غيرّوه ! الافضل ان يكون مكانـه خاليا . فعند ذاك ، باقل تقدير ، سيرى الجميع ان المكان خال ولابد من ارسال موظف قوي الى هناك واما ان تتولوا اعادة تربيته بجد ، وباسرة العاملين كلها» .

كان عمل المليشيا هاما جدا . فقد كان يقدم الى زابوروجيه كل من هبّ ودب ، والمدينة يطبق عليها الظلام ولا مصابيح فيها ولا وسائل للنقل . واتذكر وقتا حين كانت حوادث النهب وخرق النظام تعرقل تدبير العمل في النوبة الليلية . فكان لابد من اعلاء هيبة المليشيا وتقويتها وهي كانت (واتذكر امرا صغيرا كهذا) حتى في بزات رثة . وقلت في احدى الجلسات يجب علينـا اكساء رجال المليشيا اولا لكي يرى من بعيد ان القادم حامي الشرع والنظام .

ويمكن ذكر مشاكل اخرى تبدو غير كبيرة قياسا الى قضايا المشاريع العملاقة . ولكن هذا كله هو الحياة . وكان لابد من ايجاد وقت وحلول صائبة لكل الامور . غني عن البيان انه ما كان ليتسنى لي بتاتا ان اجر هذا الحمل ، كما يقال ، لو لـم يكن العبء موزعا بين بقية سكرتاريي لجنة المحافظة ولو لم تنخرط في العمل كل الاقسام وجهاز لجنة الحزب في المحافظة ، واخيرا ، لو لم يكن القسم الاعظم من هذه المسائل يعالج فعلا في الهيئات السوفيتية والاقتصادية . وهنا اريد ان انوه بسمة هامة للقائد الحزبي : فعليه ان يكون قادرا على ان لا يضع نفسه مكان بقية العاملين ، وانما ان يجد الرفاق وان يثق بهم ويشاطرهـم المشاغل والجهود ، وان يتخذ القرارات ذات المسؤولية بشكل جماعي .

لقد تجمع في زابوروجيه بالاغلب قوم اقويـاء عارفون مجدون . اريد ان اقول ان السكرتير الثاني للجنة المحافظة كان اندريه بافلوفيتش كيريلينكو وكان سكرتيرين للجنة المحافظة اينيوتين وريزنيك وعمل سكرتيرا ثانيا للجنة الحزب في المدينـة مويسيينكو . وهكذا كان عندي من اعتمد عليه ...

ابتـداءا من ربيـع عـام ١٩٤٧ صرت ازور زابوروجستروي بين يوم واخر تقريبا . حتى انني نقلت مكتب عملي الى هناك في الصيف . كانت بين محطة الكهرباء والتدفئة الجاري بناؤها وبين الفرن رقـم ٣ ، محطة فرعية سلم نصفهـا بعد الانفجار وجدوا لي هنا حجرة ووضعوا فيها منضدة للكتابة وتلفونا وكرسيين وسريرا ، تحوطا فيما اذا بقيت للنوبة الليلية . وصارت هذه الحالات تتكرر اكثر فاكثر .

ووضعوا فيها منضدة وتلفونا وكرسيين وسريرا في حالة ما اذا بقيت للنوبة الليلة . وصارت هذه الحالات تتكرر .

كان علي ان اعالج في الواقع كل مسائل المشروع كان الوقت عصيبا وكان كل يوم يضع امامنا مشكلة جديدة . واتخذنـا كما اتذكر قرارا بالانتقال الى العمل بنوبتين . وكـان ذلك يتيح فرصة الاسراع بالبناء وتنفيذ الخطة . ولكن لا يمكن العمل مساء بدون انارة . وكان الحصول على مصابيح كهربائية في المحافظة مستحيل في الواقع . ولذلك اعتزمت التوجه برسالة الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي الى الرفيق جدانوف . شرحت الحالـة ورجوت المساعدة بارسال ثلاثة الاف مصباح . لم يمض اكثر من ثلاثة ايام حتى تلقينـا فضلا عن الجواب بالموافقة المصابيح ايضا . فصار ممكنـا تنظيم النوبة الثانية وتسهيل جهد اشخاص كثيرين وهذا يفصح عن مدى الاهتمام الذي كانت اللجنـة المركزية توليه لكل رجاء ولو صغير يتعلق بتعمير العملاق الصناعي .

ومع ذلك كان علي احيانا ان انصرف عن المشروع ففي موسـم البذار كمـا اتذكر كنت عائدا من بيرديانسك وكنت مسرعا فبت ليلتي في الحقل في كومة من قش السنة الماضية . وعرجت في الساعة السابعة صباحا على منطقة بولوغوفسكي . وتحدثت مع سكرتير لجنة المنطقة شيرستيوك فسالته كيف يسير البذار وكيف امور الماكنات فرايته يتردد .

– مابك يـا الكسندر سافيتش ؟ قل صراحـة ماعندك ؟

– الامور عندي على مايرام ... هل سمعتم الاذاعة صباحا ؟

– كلا . وما هناك ؟

– في «برافدا» اتدرون شرّحونا في الافتتاحية جراء البطء في تعميـر «زابوروجستـال» . الصيغ عنيفة جدا .

صمتنا .

– هكذا ...–قلت–اذن سيتلفن ستالين ينبغي الرحيل .

واتصل ستالين بي هاتفيا ليلا بالفعل . وكانت المحادثة جدية . فكل ما افلحنا في تحقيقه وما كان يحسب حتى وقت قريب نجاحا انقلب الى ما يكاد يكون هزيمة . تبدلت الظروف لا عندنا في المحافظة وانما في البلاد وفي العالم . نقلوا مواعيد تشغيل المجمع كله والذي كان ينبغي ان ينتج الصفائح الفولاذية الى اقرب خريف وفرض حث وتائر البناء وسبق ان قلت ان ذلك كان مرتبطـا «بالحرب الباردة» .

وصدر يوم ١٦ اذار عام ١٩٤٧ قـرار مجلس وزراء الاتحـاد السوفيتـي بصدد المواعيد الجديدة وتلاه قرار اخر بصدد الاسراع بتركيب المعـدات واتخذت اللجنـة المركزيـة للحزب الشيوعـي (البلشفي) لعموم الاتحاد السوفيتي يوم ٨ نيسان قرارا بصدد عمل لجنـة الحزب في المشروع اي ضمانها الحزبي السياسي . وخلال شهر واحد التفتت الهيئات العليا للحزب والدولة لقضايانا ثلاث مرات .

تضمن قرار اللجنة المركزية نقدا لاذعا للجنة الحزبية في زابوروجستروي بسبب انها بدت في الظروف الصعبة ليس على مستوى الوضع . وبالرغم من انني لم اتول العمـل بالشكل الحقيقي الا في نهاية السنة وبالرغـم من انه كان في استطاعتي القول ان لا ذنب لي في هذا كان ينبغي تحمل كل عبء المسؤولية . وهذه سمة اخرى في عمل السكرتير الاول للجنة المحافظة : فهو بصفته قائدا وبصفته شيوعيا لا يمكنه الاعتذار بانه لم يكن حاضرا في هذه الحادثة او تلك وانه لم يكن عارفا بهذا الامر او ذاك وان رفاقا اخرين مسؤولون عن هذا الامر او ذاك . فمنذ الساعة التي تسلم فيها السكرتير الاول قيادة منظمة الحزب في المحافظة مسؤول عن كل شيء .

وفي اليـوم الثالث بعد صدور قرار اللجنـة المركزيـة عقد اجتمـاع حزبي في زابوروجستروي ودار الحديث صريحا وبلا محاباة وعنيفا . وبعد ان اوردت في كلمتي تحليلا انتقاديا لسير الامور في المشروع تحدثت بالتفصيل ايضـا عن العيوب في عمل لجنة المدينة ولجنة المحافظة للحزب الشيوعي (البلشفي) لاوكراينا .

وفي يوم ٢٨ نيسان طرحنا المسالة الخاصة بقرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لعموم الاتحاد السوفيتي على بساط بحث اجتمـاع لجنة الحزب لمدينة زابوروجيه . وجاء البناة والمشغلون الى الاجتماع برؤوس اقلام للخطط الجديدة وجدول مواعيد . فدار الحديث محددا . فاورد كوزمين مثلا الحساب التالي : اذا سرنا على مستوى ماحققناه في اذار فان تشغيل فرن الصهر سيتطلب اربعة اشهر وتشغيل ماكنة التصفيح اربعة وورشة الدرفلـة الباردة اكثر من ثمانية .

وقال مدير المصنع :

–لايجوز الرضا بان خطة اذار قد نفذت . فحتى بالقياس الى نيسان تجب زيادة السرعة الى الضعف باقل تقدير .

كان لابد من زيادة انتاجيـة العمل بقدر كبير وقيل في اجتماع لجنة المدينة انذاك :

– يعمل في المشروع الان ثلاثـون الف عامل ومع ذلك يعانـي القطاع مـن النقص في الناس فلو تسنى لنا زيادة انتاجية العمل بنسبة عشرين بالمائة لكان ذلك يعادل تلك الالاف الستة من الناس الذين يحتاج المشروع اليهم !

وحل وقت حين صار الحساب عندنا لا بالسنوات وانما بالاشهر بل بالايـام ايضا . بات واضحـا للجميع : اننا ملزمون بالتخطيط انطلاقا لا مما هو «ممكن» وانما مما هو «لازم» . وحين اعلن انـه ينبغي ان ينفذ في اليوم الواحد من اعمال البنـاء والتركيب ما قيمته مليون روبل ضجت القاعة وكان الكثيرون لا يزالون في شك بقواهـم (في حين ان هذا الحد قد بلغناه مع نهاية ايار ، اما في الخريف حين بدأ عمل ورشات الدرفلـة فان قيمة الاعمال التي تنفذ في اليوم الواحد كانت تبلغ المليونين) .

خطبت في نهاية الجلسة . وتحدثت بشكل رئيسي عن ضرورة توفير وضع القابلية على الحركة كما في المعركـة والتشمير عن ساعد الجـد والحرص والانضباط في المشروع . فهذا على وجه التحديد ما بات هو الامر الرئيسي الاساسي الذي يتعلق عليه كل شيء وكانت قـد تجمعت لدي حتى ذلك الوقت ملاحظات غير قليلة لبيان تقصيراتنا وقدراتنا في صورة جلية .

وذكرت بالحادثة حيث زججوا في ورشة كبيرة كل النوافذ والسقيفة ثم سرعان مـا قاموا بتفجير في مكان مجاور . فكان النوافـذ لم تكن . هـذه الطريقـة في العمل فاسدة ! وعلى لجنة الحزب في زابوروجستروي ان تحاسب القادة الشيوعيين بدون النظر الى شخصياتهم على سوء التدبير . وقد اكدت هذا باحزم شكل . ولكني وجدت من اللازم فورا ان اضيف :

– حين نتقاعس ونغفر التحلل من المسؤوليـة فان هذا امر خطر جدا . الا انني لا اريد دعوة اللجنة الحزبية الى فصل احد من الحزب او كما يقال اهالة كيس من التوبيخات . هذا ايضا ليس هو الاسلوب المراد .

كان من المهـم تحذير الرفاق من الانتكاص الى التطرف الاخر ...

— ٥ —

كنا منذ الايام الاولى نسعى الى الموقف الحريص من الكوادر ونغلي وضع ارادة الخير الحزبيـة التي كانت قد رسخت في منظمتنا . وانا ما كنت بتاتا نصير الطريقة الخشنة الصارخة اوكما يسمونهـا ايضا «الشديدة» في القيادة . فحين يكون الانسان فزعا لن يتحمل مسؤولية . وكان ينبغي لنا لا تقييد اوسع المبادرات بل على العكس مساندتهـا . ففي تلك الظروف الشديدة ماكان لنا ان نحقق شيئا بدون التجديد والبحث النشيط . والجديـر بالذكر ان الصراخ لاحاجة اليه بتاتا في ظروف الهدوء ايضا .

واورد المثال التـالي : كانت تعمل في التركيب عندنا الرافعة «بك–١٥١» وكانت قوية بالنسبة لذلك الوقت . فافرطوا في تشغيلهـا رغبة في الاسراع بالعمل فهوت الرافعـة وتعطلت . وحين ابلغوني ذلك سارعت الى موقع العمل فـاذا هناك صراخ وصخب وعامل الرافعة واقف شاحب الوجـه لقد سبقني الى المكان اشخاص من قسم الرقابـة التكنيكية وحتى من هيئات التحقيق . ولـم يحتفظ بالهدوء سوى كوزمين كما اظن فسالته :

– هل هناك ضحايا ؟

فاجاب : لا ، لقد سقطت باكثر من السلامة . ولو تعمدنا بحساب خاص ، لما كنا طرحناها في زحامنا خيرا مما انطرحت .

صاروا يحققون : فعلا سقطت الرافعة في بقعة خالية لم تقتل احدا ولم تخرب شيئا . لكني اسمع هستيريا : تخريب ! حاكموا العامل ! حاكموا رئيس فرقة العمال ! اريد ان تفهموني على الوجه الصحيح : انا الى جانب معاقبة السفلة المجرمين الذين ثبت ذنبهم تماما معاقبة صارمة والاهم بلا تهاون . ولكن هنا اذ اقتنعت بانه لم تكن اية نية سيئة وان مـا كان هو عدم الحذر ، طالبت بان يغيروا لهجة الكلام فعلام خلق جو الانفعال والذعر ؟ بالعكس ينبغـي الاستعانة بالشعور بالاسى الذي سببته هذه المصيبة لحث الناس على البحث عن مخرج من الوضع سريع واكثر حكمة .

وتم ايجاد مخرج ، فاستخدم البناة منظومة من الروافع فاستمر التركيب حتى انه لم يتجاوز جدول المواعيد . فماذا كان يعطيه العقاب الصارم للناس وللبناء وللقضية التي نخدمها ؟ هب ان هذا المثال اخاف بقية عمال الرافعات وبقية رؤساء فرق العمال ولكن لو صار عمالنـا الطليعيون ومهندسونـا المجددون يعملـون «من والى» ولو صاروا يتبعون كل بنود التعليمات لما كان يمكن حتى التفكير في اللحاق بمواعيد البناء البالغة القصر .

لم يكن ثمة علم عن تعمير الخراب ولم تكن كتب تعلمنا كيف نرفع من الرماد المنشآت المحروقـة والمهدومة والمنسوفة . كان كل شيء لاول مرة وكل شيء من جديد . كانت المهمة نفسها جسورة وكان من المهم عدم قتل روح التجديد . وكان يجب تشجيع الجراة عند الجميـع–عند العمـال والمهندسين والعاملين الحزبيين . كان الناس في ذلك الصيف الحامي بالمعنيين الحقيقي والمجازي يحطمون في كل قطاعـات المشروع الطليعي المعدلات المعتـادة وبالتالي كانوا يقدمون على المجازفة . ولكنها كانت مجازفة مبررة ومتبصرة ومستندة الى المعرفة والخبرة والحساب الدقيق .

لزم مثلا انزال قاعدة ماكنة الدرفلـة من متن عربة ، وهي تزن اثنين وثمانين طنا . بينما الرافعة في درفلة الصفائح تزن ثلاثين طنا . كان الامـر بموجب كل التعليمات يتطلب ماكنة اقوى فلم يكن اسهل على الفرقة من رفض هذا قائلين فتشوا عن الرافعة المطلوبة وانقلوهـا الى المكان ونحن في انتظاركم . الا ان الناس تصرفوا بشكل آخر .

تفحص الكسندر نيكولايفيتش تشيبيغا ، الرجل الصموت بل العابس بالمظهر كبير اسطوات اعمال الرفع ، العربـة من كل الجهات وتفحص القاعدة الثقيلة ثم الاساس المعد لها . راح يخمن هو نفسه شيئا ما ثم جلس مع الفرقة واجرى مع المهندسين

حسابا . بالنتيجة تمت «نمرة» وصفوهـا عندنـا «بنمرة السيرك» صنعوا بين العربة والاساس قنطرة من عوارض السكة . ثم كلبوا القاعدة من القسم العلوى وحسب ايعاز تشبيبغا نقلت الرافعة (تلك نفسها ذات الثلاثين طنا) هذا القسم الى القنطرة ثم كلبوا الطرف الاخر وقربوه من الاساس . وهكذا وضعـوا القاعدة بالتدريج في الوضـع المطلوب وكانت الحيلة تتلخص في ان القسـم الاساسى من الثقل واقع طوال الوقت على المسند السلب . وكانت هذه حيلة حقا قائمة على الفطنة واللباقة والحساب الدقيق لدى انسان عامل موهوب .

وبالطريقة نفسهـا نقلت قاعدة مقصى ماكنـة الدرفلة ووزنها مائة وثلاثون طنـا . وقصر معدل الوقت عند ذلك بتسعمائة مرة ! وكانت حادثـة مشابهة عند ترميم محطة الكهربـاء والتدفئة حين رفعوا اسطوانة المرجل الثقيلة الى علو كبير . كان هذا عملا ذا مسؤولية ولم تكن هناك الرافعـات اللازمة ولكن واحدا من المهندسين اقترح رفعا مركبا بواسطة ذراع قليلة القوة وعوارض المبنى ذاتـه فدق خبراء «سويوز بروم مونتاج» (هيئة التركيب الصناعى-المترجـم) نواقيس الخطر . ولكن حين جاءوا الى قاعة المراجل كانت الاسطوانة قد اقيمت واستغرق ذلك بدلا من بضعـة ايام اثنين وثلاثين دقيقة .

ذات مرة اقبلت على فريق من المركبين القادمين من ستالينغراد : «سلام عليكـم ايهـا الرفـاق الاشاوس !» سميتهم هكذا لا لمجرد ان كثيرا منهم كان لمـا يخلع قمصان الجنود وانمـا ايضا لان المركبين هم في خاتمة الاعمال ومرهون بهم الموعد النهائى وكما يقال لا مجال لديهم للتراجع . وسالت كالعـادة عمـا هو جديد في القطاع فاذا هـم يقهقهون . وحين رووا ما حدث عندهم ضحكت انا ايضا .

كانت الحادثة طريفة . وقع في ايديهم رسم تخطيطى وعليه قرار قاطـع : «حذار ! ينجز هذا اليوم ! ليفشيتس» فنظر المركبون وذعروا . فالعمل هنـا حتى باقسى المعدلات يتطلب ثلاثة ايام . ولم يخل الامر من كلمة نابية الا انه لم يكن مفر فانكبـوا بشكل ذكى وركبوا كل مايلزم في اليوم نفسـه واذا فتاة من مكتب التصميم تهرع اليهم «اين الرسم التخطيطى ؟» اتضح ان عبـارة الرفيق ليفشيتس رئيس قطاع الطاقة في «هيبروميز» (معهد تخطيط وتصميم مصانع التعدين-المترجـم) لـم تكن ذات علاقة بالمركبين بتاتا . فكل ما طلبه هو استنساخ الرسم .

كان الناس يعملون في جميع القطاعـات . بكل معنى الكلمة .. بنكران ذات وبهوية وجسارة . وكان يحدث انهم لا ينصرفون الى بيوتهم مالم يؤدوا الواجب ويظلون في موقع البناء بضعة ايام - ينامون في مكان ظليل ثلاث او اربع ساعات ثم يستانفون العمـل ونشا الجو الذى كانت لجنة المحافظة تسعى اليه منذ البداية جو الحماسة العامة والطموح العظيم والايمان الذى لا ينضـب بقواهم . وشعـرت بانـه قد حلت في المشروع انعطافة حازمة . ومنذ الان سوف نمضى قدما قدما . فقد نشا حرس عمل قادر عـلى اكثر الخطط جراة واقصر المواعيد وكان من المهـم عدم تضييع الوتائر واحتلال حصن بعد حصن كما في الجبهة ...

وصارت نتائج جهد الزابوروجيين ملحوظة في جبهة العمل العامة . فكتبت «برافدا» : «مثلما ان البـلاد كلها بنت في سنـوات الخطط الخمسيـة الاولى «ماغنيتوستروى» و«كوزنيتسكستروى» يجب ان تكون كلمة «زابوروجستروى» الان ايضا كلمة السر للعمل الكفاحى لا للبناة وحدهم وانما ايضا لكل من يتعلق به تعمير مصنع التعدين في مدينة زابوروجيـه بسرعة» .

ولعبت الصحافة والكلمة البلشفية الناصعة دورا كبيرا خلال ذلك الصيف بين الوسائل الكثيرة لالهام الناس . فبعد ان قدمت للعمل في زابوروجيه اصررت فورا على زيادة عدد نسخ جرائد المحافظة . ومع ان البلاد كانت تحس نقصا في الورق لبت اللجنـة المركزية للحزب الشيوعى (البلشفى) لعموم الاتحاد السوفيتي طلبنا .

وحققنا ايضا تجهيز بلدات العمال بشبكة الاذاعة وبعد ذلك كان العاملون في الجهاز مدهوشون من ان السكرتير الاول للجنة المحافظة يطرح لاول مرة في ممارستهم على المكتب تقرير هيئة تحرير جريـدة زابوروجستروى «الباني» . وسجل في قرار المكتب «ان اللجنة الحزبية لا تقدر حق التقدير الدور المنظم الضخم الذى تلعبه الجريدة في تقوية العمـل الايديولوجي مع الجماهير ولا تستخدمها منبرا ...»

وكانت تعمل في موقع البناء في احر الاوقات هيئات تحرير خارجية للجرائد «براضـدا» و«راديانسكا اوكرانيا» . و«بلشفيك زابوروجيه» . وكنت اعرف اندريه كليونينكو مدير قسم التحريض والدعايـة لجريدة محافظتنا من الجبهة . فقد قطعنا سوية الطريق من قوقاز حتى براغ . كان قوميسارا شجاعا للفوج واصبح صحفيا شجاعا ايضا وهذه صفة ضروريـة ايضا في عمل الجريدة . واتذكر ايضا فلاديميـر ريبين المحرر في هيئة تحرير جريدة «بلشفيـك زابوروجيه» وكان هذا الرجل النحيل الطويل الـذى يلبس نظارة ، يتميز بحب التدقيق بشكل عجيـب ويقدر على ان يكون اول من يعرف انبـاء المشروع فتغدو فورا عبر الجريدة وعبر المنشورات معروفـة للجميع .

واخذنا نصدر المنشورات بانتظام حول الاحداث ذات الاهمية الخاصة . وكان الكمسموليون يرمونها في المدينة من سيارات الشحن واحيانا من الطائـرة الصغيرة «بو-٢» واليكم نص واحد منهـا مخصص لانتصار عزيز لدينا جدا :

«برقية تسلم ايها الوطن بلاغنا :

حديد

زابوروجيه

حاضر !

انتج عمال الفرن اليوم اول منتوج من الحديـد فيا عامل الزابوروجستروى ! انك ترى ثمار عملك المتفانى لخير ومجد الوطن الحبيب .

الشعب السوفيتي كله يحيى انبعاث الفرن الجبار ومحطة الكهرباء والتدفئة في «زابوروجستال» كانبعاث من الاموات لانه يعرف الى اية حدود من الخـراب اوصلها الوحوش الفاشيست .

البلاد كلها تلفظ اليوم بالشكر اسمك يا عامل زابوروجستروى !

الى الامام نحو انتصارات جديدة !»

الا اننى استبقت الحوادث : فقد كان لابد حتى ذلك الانتصار من العيش كما يقال . وكانت تصدر ايضا منشورات انتقادية لاذعة مع القاب اولئك الذين كانوا يؤخرون المشروع . واورد مثلا يخيل انه قليل الدلالة ترك احدهم في الطريق قطعة حديد ضخمة صـارت تعيق العمل . فظهرت على القطعة في الصباح التالى عبارة «ياأسطى هذا الممر ! ارفع القطعة فهى تعيق العمل . المدة خمس ساعات» . وتحت العبارة توقيع ماذا تظنون ؟ لقد رفعوها ونظفوا المكان ! ينبغى القول ان ذلك اثر تاثيرا شديدا !

وكانت «تعمل» جيدا الوان من التحريض المنظور فانت تسير في موقع البناء وترى في كل مكان ارقاما وتواريخ : تشغيل ماكنة التصفيح في يـوم كـذا والدرفلة الباردة في يوم كذا ، ونبقى ٣٠ يوما ثم ١٥ ... ثم ١٠ ثم ٥ ايام . كانت المدينة كلها تعرف شؤون المشروع وكنا ندعو الى الاجتماعات كل السكان وكان البناة يجيئون مع اسرهم .

كان يمكن ان تسال زوجة زوجها العامل :

- ما بالك ؟ الاخرون يمدحون ولا تقـال عنك كلمة ؟

او ان يسال طفل .

- لماذا يابابا يصفقون للعم بيتر ولا يصفقون لك؟

ان هذا هو العمل الجماهيرى الحى الحقيقى وكانت فعاليته كبيرة جدا . وانه لضـلال كبير الظن ان الحوافز المادية وحدها لازمة للانسـان . كـلا فالانسان السوفيتي يلزمه الكثير جدا ادراك مساهمته في القضية العظمى والسعى الى التعبير عن ذاته في العمل والفخر ببراعته واحترام الرفاق والتكريم .

الا انه ينبغى طبعا تربية كل هذه المتطلبـات الخلقية . وهنا ساعدنا الجرائديون الذين لايخلـو منهم مكان مساعدة جيدة جدا . فالتجربة الطليعيـة والمصير الساطع لانسان ، ورقم قياسى لاحدهم ، والاعمال الكفاحية في قطاع كل هذا كان يلقى عليه الضوء في الجرائد فورا . لقد كان الصحفى شريكا كامل الحقوق في المشروع .

واتذكر اننى نصحت العاملين في هيئات التحرير الخارجية بالمساهمة حتما لى تفتيش نقاط التشغيل والذى كنا نقوم به كل يوم مع قادة المصنـع والمشروع . فهناك كانت تطفو دوما مسائل عامة ولتعقد محاورات مفيدة ويصبح معروفين ابطـال المشروع الجدد . وكنا ننتظر من الصحافـة ليس مجرد المديح ولكن النقد اللاذع ايضا .

واذكر للمناسبة اننا سعينا الى حماية البنـاة والمركبين والمشغلين من الاستدعاءات غير اللازمة الى المراجع المختلفة . ولم يكن من النادر ان اقول لرفاقى : «انقلوا العمل كله الى المشاريع فاذا كان ثمة امر توجهوا الى موقع البناء» . ونظرا الى انهم كانوا يرون ان السكرتير الاول للجنة المحافظـة يتصرف هو لنفسه على هذا النحو سرعان ما غدا هذا عادة لدى كل السكرتاريين ومديرى الاقسـام والمرشدين في لجـان الحزب للمنطقة والمدينـة والمحافظة . وكان ذلك مفيدا جدا لهم انفسهم .

-٦-

صارت الاعمال تجرى بوتائر متسارعة وتطلـب المشروع حشد كل الامكانات والاساليب الجديدة في العمل والحلول التكنيكية الطليعية والجراة والفطنة وقد لاحظت ان شتى مشاكلنا ونواقصنا كانت غالبا ما تلد افكارا جديدة واصيلة . واليكم مثالين من امثلة كثيرة محفوظة في الذاكرة .

كان الفرن رقم ٣ الذى رمم اولا هو الوحيد الذى سلم بعد التفجير . ولكن الارض غارت به ومـال جانبه كانه برج بيزا ولم يمسكـه عن السقوط النهائى سوى الحشوة المعلقة داخل المنجم . وخيل ان المخرج واحد هو تفكيك الفرن العملاق ثم تنصيبه من جديـد . الا ان العاملين في دائـرة «ستالكونستروكتسيـا» (دائـرة الهياكـل الفولاذية-المترجم) التى كان يترأسها المركب المحنك تشودان سلكوا طريقا اخر . فتقرر تعديل الفـرن وهذا امر لم يسبق لاحد ان فعله بتاتا . وقد قال لى كبير المهندسين في الدائرة شيغال الذى اعد هذا التصميم مايلى :

- الحالة تضطرنا الى تكميل الاساليب المعروفة لفن البناء بعناصر «الجراحة العلاجية» .

ازال المركبون في صباح رائع الحديد الزهـر المتجمد داخل الفرن ودسوا تحت الفرن تسعة مرافع هيدروليكية تتراوح قوتها بين مائة ومائتى طن ، ثم شقوا غلاف الفرن وشرعوا برفعه . وكان مئات من البناة قد تسمروا حول المكان . وبقى كثيرون بعد النوبة متعبين بحاجة الى النوم ولكنهم ظلوا ينتظرون متوترين ماذا ستكون نهاية ذلك . بقيت انا ايضا كانت في ذلك اليوم اعمال اخرى ايضا ، ولكنى لم استطع الانصراف كالاخرين . اهتز الفرن العملاق قليـلا وصار يقترب ببطء من الخط العمودى . جرى الرفع خمس ساعات ونصف ولم يغادر الساحة احد . انا ايضا ظللت واقفا حتى النهاية الى ان لحموا الشق الذى تكون برقعتين فولاذيتين من كلا الجانبين . لقد انجز العمل . بدلا من شهرين خمس ساعات ونصف ! وفر ذلك للدولة اكثر من مليون روبل ، فاستحـق ميخائيل نيكولايفيتش تشودان وايزيك وولفوفيتش شيغال جائزة الدولة لقاء هذا الحل الجرئ .

ونال جائزة الدولة ايضا مـارك ايفانوفيتش نيدوجكـو رئيس دائرة «ستالمونتاج» (تركيـب الهياكل الفولاذية-المترجم) الرجل ذو الموهبـة الكبيرة والاقدام . وهو من ابناء مستقط راسى من محافظة دنيبروبتروفسك . ولد لاسرة فـلاح فقير وكان في المصنع برادا ولحاما ثم صار مركبا . وقاد في سنوات الخطط الخمسية التركيب في مشاريع الاورال وسيبيريا . وتولى خلال الحرب مد انبوب البنزين الى لينينغراد المحاصرة . كانوا يركبـون الانابيب على جليد بحيرة لادوغا ثم ينزلونهـا الى القاع مؤمنين بذلك الوقود لجبهة لينينغراد . وعند القصف غطس مارك ايفانوفيتش في ماء لادوغا المثلوج ومرض منذ ذلك الحين مرضا عضالا . لكنه ظل يعمل حتى اخر ايامه .

كلفت دائرته في زابوروجيه بتعمير ورشـات الدرفلة تلك نفسها التى خربها الفاشيست «بعناية» وحشية خاصة . (سبق ان تحدثت عن الحـروف الحمراء «٣» على الاعمدة) . وبعـد ان درس مارك ايفانوفيتش الاوضاع في هذه «الغابة» الحديديـة المحطمة اقترح رفع ممرات الورشة برمتها . كانت الفكرة مذهلة بجراتها وجدتها . قسم الورشـة المنبعجة الى كتل ضخمة تضم كل واحدة منها مـا يبلغ عشرين عمودا وتزن لا اقل من الف طن ، ثم فصل كل كتلة عن الاخرى بشقها بالاوكسجين وبعد ذلك بدا عمل القوائم التلسكوبية وهى اجهزة الرفع التى صممها نيدوجكو مع كبير المهندسين في دائرته غريغورى فاسيليفيتش بيترينكو . فهذه كانمـا امسكت الورشة من سقفها ، جرت قطاعات الممر كاملة الى الاعلى وصارت الاعمدة المشوهة تستقيم بالتدريج واتخذت العوارض والزوايا مكانها «الشرعى» . وكان طبعا كثير من الاجزاء التى لا يمكن اعادتها ، فازيلت ووضع على بعض التراكيب دروز ورقع . لقد كان هذه تلك «الجراحة العلاجية» المذكورة .

وكانت النتيجة ان امكن الاسراع بالاعمـال في اصعب قطاع لمدة سنة بالاقل . وتم انقاذ عدد غير قليل من الهياكل الغالية جدا التى كان من المفترض ان ترمى مع حطام المعادن . هكذا نشأ علم بعـث المصانع المعطلة والذى كنا في امس الحاجة اليـه انذاك ، ولو انه من الافضل ان لا تكون استعانة به بعد الان ابدا وفى اى مكان .

لقد استعدنا السلسلة التكنولوجية للمرحلـة الاولى من «زابوروجستال» والتى لا تتضمن سـوى تلك الحلقات التى كانت لازمة لانتاج الصفيـح الفولاذى . وكان المطلوب من محطـة الكهربـاء والتدفئة ذات وحدات نفخ الهواء ان تنفخ في فـرن الصهر العالى اما الفرن فاثناء انتاج الحديد الزهـر يعطى ايضا الغاز الساخن اللازم لورش الدرفلـة ولكن لم يكن بامكاننا الاكتفاء بهذا وحده فاجرينا في الوقت نفسه الاعمال لبعث المؤسسة برمتها-شبكة السكك الحديدية ونظامى التزويد بالماء وبالطاقـة والورش المساعدة ، وهلمجرا . وكانت الخبرة التى اختزنها المشروع الطليعى ثمينة جدا ، وكان من المهم عدم تضييعها باية حال من الاحوال وعدم نسيانها والاستفادة منها قدر الامكان في المشاريع الاخـرى واصدرت لجنة الحزب الشيوعى البلشفى الاوكرانى لمدينة زابوروجيه قرارا خاصا «بصدد دراسة ونشر الاساليـب الطليعيـة لعمـل المجددين في زابوروجستروى» . وقبيل اشعال فرن الصهر العالى لاول مرة ، عقدنا اجتماعـا للحزبيين والاقتصاديين اكثر ما تحدثت فيه بطبيعة الحال عن المهمات الملحة قبل التشغيل . ولكن جرى الحديث ايضا عن المستقبل :

- لقد استطعنا واياكم تحويل انتباه القـادة الاقتصاديين والشيوعيين في فترة قصيرة الى قضية تنفيذ خطط الدولة . لكن تنبغى نظرة اوسع . وبودى ان يغدو درس زاباروجستروى ، الاكثر بروزا مـن وجهة نظر القيادة الحزبية للعمل ، قدوة لمنظمتنـا الحزبية كلها ولجميع المؤسسات الصناعية .

لقد ساعدت البلاد كلها في ذلك الحين على تشييد مصنعنا . وكانت الى جانب موقع البناء خيام كتب عليها «غوركى» و«ريغا» و«طشقند» و«باكو» و«دالنى فوستوك» كانت تعيش فيها فرق البناة . وكانـت طلباتنا ينفذها اكثر من مائتى مصنـع في سبعين مدينة . كانت تجئ من غوركى سيارات الشحـن وترسل ارخانجلسك عوارض السكة وياروسلافسك المحركات الكهربائية وباكو وغروزنى القار وغيره من مشتقات النفط . وكانت الماكنات والالات تاتينا من موسكو وقضبان السكة من كوزنيتسك والخشب من بيلوروسيا والهياكل المعدنية من مصانع محافظـة دنيبربتروفسك ومنها مصنعى الحبيب دزيرجينسكى وحتى تصاميم ترميم الورش كانت تعدها لنا كييف وخاركوف ودنيبروبتروفسك وروستوف على الدون ولينينغراد وموسكو مع انه قد ظهر في زابوروجيه فرع من «غيبروميز» .

وهنا اريد ان اتذكر بخير امراة متواضعة المهندسة في «زابوروجستال» شيربميت . هل يستطيع انسان واحد القيام باعمال كثيرة ؟ نعم اذا كان مخلصـا للقضية ويتذكر واجبه . في ايام التراجع السوداء حين كان الهتلريون يقصفون المدينة جمعت هـذه المراة واجلت ثم صانت واخيرا اعادت الى المصنع كل الرسوم والمخططات . الوف عديدة من الصفحات وكم كانت لازمة ! كانت ترد المعدات التى ارجعت من الجلاء او الواردة الينا حديثا . فساعدت الرسوم القديمة المخططين والمركبين على ادخار الوقـت الثمين . والشئ البارز هو ان المصممين والعمـال تحايلوا لتحديث حتى الماكنات القديمة وتحسينهـا مثلا ماكنة الدرفلة التى ركبها عمال كراموتورسـك عندنا بقيت على ما كانت عليه قبل الحرب ولكن قوة هذه الماكنة ازدادت من ١٢٠٠٠٠٠ طن من السبائك في السنة الى ٢٠٠٠٠٠٠ طن .

بدات المباراة الاشتراكية على صعيد الاتحاد في تلك السنة بمبادرة اسرة العاملين في زابوروجستروى وشاعت جدا في ذلك الوقت العبـارة القائلـة : «للمشروع الطليعـى في السنة الطليعيـة لا ٣٦٥ نهارا بل ٣٦٥ يومـا وليلة» . واتذكر كيف سرنا نبا اللينينغراديين ، فهم اذ ارسلوا بمبادرتهم قبل الموعد المقرر الاجهزة اللازمة لنا جدا ، دعوا كل المؤسسات الالكتروتكنيكية في البلاد الى تنفيـذ طلبات زابوروجستروى قبل المواعيد . وارسلنا فورا برقية جوابيه : «لينينغراد . لجنة الحـزب للمحافظة . الرفيق بوبكوف . مصنع «الكتروابارات» الرفيق كـاميتسكى . سنابتشيرميت الـرفيق سبيكتوروف : تسلمنا بلاغكم عن شحن اجهزة الفولط العـالى قبل الموعد . تحسن التـركيب الكهربائى بقدر عظيم . هذا يتيح امكان انجاز اعمال التركيب الكهربائى في عدد من مشاريع التشغيل في مواعيدها . نشكر اسرة المصنع على الشحن قبل الموعد .

سكرتير لجنة محافظة زابوروجيه

للحزب الشيوعى (البلشفى) لاوكراينا

ل . بريجنيف

مدير مصنع «زابوروجستال»

آ . كوزمين

انبثقت في الاجتماع الاخير السابق للتشغيـل والذى ذكرته اعلاه مسالة «الاعمال الصغرى» . ابلغ قادة كثير من القطاعات بشعور الفخر اكمال اكبر الاعمال حجما اما المتبقية التى تعد غير هامة فقـد اسقطوها من الحساب . الا ان وضع المؤسسـة حيز العمل لا يمكن حتى الكلام عنه قبل انهاء هـذه الاعمال «غير الهامة» . فكان ينبغى ضمان نظـام حقيقى في المشروع والتزام فعلى بالخطة واليكم ما قيل بصدد هذه القضية :

«الرفيق كوزمين : ان مجموع الاعمال الصغيرة يكون احيانا اهم من حجم كبير . في حين ان مواعيد الاعمال كلها عندنا توشك على الانقضاء . الرفيق بريجنيف : حسن انكم اثرتم هذه المسالة . ينبغى القول بصراحة أكثر ان على البناة ايضا ان يتركوا للمصنع ثلاثة اسابيع لاختبار الماكينات . سأطير يوم ١٠ ايار الى المكتب السياسى لاقدم تقريرا عن سير البناء وان بلاغكم هام لى جدا ...»

اود ان اؤكد انه لم يخطر لا ببال البناة ولا ببال لجنة المحافظة ولا ببالى شخصيا فكرة اننا ربما نخرق المواعيد المقـررة ورجاء تاجيل التشغيل وطـرح مسالة «تصحيح» واجبات الخطة . فالخطة هى الاداة الرئيسية لتطبيق سياسة الحزب الاقتصاديـة . ان مناقشتها ممكنة بل واجبة في مرحلة الاعداد . ولكن الخطة حين تقر وتكتسب قوة قانون دولتنا يتبقـى واجب واحد هو تنفيذها وتنفيذها في الموعد وباقل النفقات وافضل المؤشرات .

غنى عن البيان ان مشروع بهذه المقاييس ما كان بوسعنا ان ننهض به بدون المساعدة البالغة النشاط والفعالية من اللجنة المركزية للحزب الشيوعـى (البلشفي) لعموم الاتحاد السوفيتي ومجلس وزراء الاتحاد السوفيتي . كانوا يحاسبوننا بدقة ولكنهـم أيضا كانوا يساعدوننا حين يقتضى الامر على عجـل يكفى القول ان اياما مرت حين كان يجتمع في موقع البناء في وقت واحد خمسة وزراء قادمين من موسكو وكانت ملزمة بمساعدة «زابوروجستال» وساعـدت وزارتـا صناعة السيارات والطائـرات ووزارات التسلح والنقل وصناعة الماكنات وصناعة الفحـم وصناعة النفط .

وكان أكثر من يقدم وزير بناء مؤسسات الصناعة الثقيلة للاتحاد السوفيتي يودين ووزير تعديـن المعادن الحديديـة تفوسيان . وكنت وايفـان فيودوروفيتش تفوسيان متعارفين في الجبهة في ايام تحرير المراكز الصناعية في الجنوب . كان يتحدث حتى في ذلك الوقت عن بعث افران الصهر وأفران مارتـن وورش الدرفلـة . والآن صار ايفـان فيودوروفيتش حين يقدم الينا يشارك حتما في جولات التفتيش الصباحية ويعالج المشاكل الناجمة فـى اماكنها . كان ذلك قائدا كبيرا عالى المكانة عارف بالقضية .

صارت الايام تمر عجلى والوقت مشحونا أكثـر والناس يعملون نهارا وليلا ، وعلى العموم بقى هذا الوقت في ذاكرتى واضحا وبهيجا . فحين وصلت الى زابوروجيه الوجبة الاولى من خامات كريفوى روغ كان ذلك عيدا . وحين تركوا الفـرن ليجف عمت الفرحة . وبدا اختبار وحدات نفخ الهواء في محطة الكهرباء والتدفئة وتسلقت الجسر المائل الـدلاء الاولى ذات الحشوات فكانت تلك ايضا احـداث مليئة بمعنى خاص لكل واحد من المشتركين في المشروع .

قدمت من موسكو اللجنة الحكومية برئاسة خبير التعدين المعروف نائب رئيس اكاديمية علوم الاتحاد السوفيتي ايفان بافلوفيتش باردين الذى سبق أن عرفته في دنيبرودزيرجينسك . وكتب هذا الرجل الرصين عادة في عباراته في وثيقة تسلم المرحلة الاولى من مصنع «زابوروجستال» مايلى : «أدى البناة والمركبون هنا اعمالا كبيرة لا يضاهيهـا شئ لا بالحجم ولا بحل المهمات التكنيكية» .

وحل أخيرا اليوم المشهود الذى طال انتظاره فحصوا للمرة الاخيرة هل كل شئ جاهز ؟ وصدر الأمر : «اشعلوا الفرن !» ادار عامل الغاز مزلاج الهواء الساخن وعدا كبير الاسطوات حاملا القبس الملتهب نحو الكوة الحديدية لزمجر الفرن وفى هذه اللحظة نفسها دوت في المبنى الرئيسى لمحطـة الكهرباء والتدفئـة الصفارة التى أعلنت ميـلاد «زابوروجستال» الثانى . وحين سمعها الناس في المدينة هرعوا جميعا الى الشارع وصار يعـانق احدهم الاخر ويبكون فرحا . وفى اليوم التالى ، يوم ٣٠ حزيران عام ١٩٤٧ انتج حديد زابوروجيه الغالى بهذا القدو علينا جميعا .

اتذكر هذا اليوم بكل تفاصيله .. كان الفـرن يدوى دويا رتيبا لكان لابد من الكلام بصوت عال ولكن هذا الدوى المالوف لكل عامل تعدين افرحنى انا ايضا لاننى كنت لا ازال استعرض في قـرارة نفسى شعور عامل تعدين .. خرق نصل الاوكسجين الكوة فبدا جدول رفيق من المعدن المصهور حتى البياض .

وراح هذا الجدول يستجمع قواه وهو ينثر النجوم في طريقه وصار نهرا حديديا سائلا . وغـدت مويجات على هذا النهر فسرنا جميعا وراءها ننظر كيف تمتلئ المغرفة لاول مرة . واتذكر اننا وباردين ظللنا يشد احدنا على يد الاخر طويلا وقبلنا جميع عمال الفرن .

انعقد فورا في باحة المصنع اجتماع ضم اكثـر من ستـة عشر الف شخص . فهنـات البنـاة والمركبين والمعدنين بالنصر الانتاجى الباهـر ودعوتهم الى عدم اضعاف الوتائر الى اكمال الخطة السنوية وتسليم ورش الدرفلة للاستغلال مع حلول عيد البلاد الكبير ، الذكرى الثلاثين لاكتوبر العظيم .

اجل كان ذلك قبل ثلاثين عاما ... وفى نهايـة تموز درفلنا بماكنة الدرفلة السبائك الاولى . وفى ٣٠ آب تسلمت اللجنة الحكومية ورشة الدرفلـة الساخنة وفى ٢٨ ايلول انعقد عندنا الاجتمـاع الرئيسى ، اجتمـاع «التشغيل» في ورشـة طرق الصفائح البارد . كان امام المنبر قطار بخـارى مزين بالزهور ووراءه عربات عليها المنتوج الجاهز الذى ارسلناه الى مصنع السيارات بموسكو . وثبت على احدى العربات لافتة كتب عليها : «تقبل ايهـا الوطن صفيح زابوروجيه الفولاذى !»

لقد بر الزابوروجيون بوعدهم . وقدرت البلاد ماثرتهم التقدير اللائق . فنال عشرون الف مشترك في المشروع ميدالية «لقاء ترميم مؤسسات تعدين الحديد» . ونشرت مراسيم هيئة رئاسة السوفيت الاعلى للاتحاد السوفيتي بمكافاة الاسر الطليعيـة فاستحق اتحـاد زابوروجستـروى ومصنـع «زابوروجستـال» وسام لينين ارفع رمز لتقديـر الوطن . ونال وسـام لينين كثير من العمـال والمهندسين ومديرى الانتاج والعاملين الحزبيـن وكان بينهم ايضا اولئك الذين ورد لهم ذكر فـى هذه الخواطر ،-رومانتسيف وتشودان وشيغـال ونيدوجكو وديمشيتس وكوزمين . وورد في القائمة اسمى ايضا . لقد كانت تلك مكافاة غالية جدا فهى اول وسام لينين امنحه .

بدا يعمل في زابوروجيه خلال شهر تشريـن الثانى عام ١٩٤٧ المصنع الكيمياوى لفحم الكـوك الذى نهض من الانقاض . فبـات ظهر الصاهرين يستند الآن الى ركيزة مامونـة . ولكنى لم يكتب لى حضور هذا الحفل . فبقرار من اللجنة المركزيه للحزب الشيوعى (البلشفى) لعموم الاتحاد السوفيتى ارسلت الى محافظة دنيبروبتروفسك .

رحلت عن زابوروجيه يغمرنى شعور اداء الواجب واليكم الحوار الذى دار في الاجتماع التاسع عشر للجنة الحـزب الشيوعى (البلشفى) لاوكراينـا لمحافظة زابوروجيه وهو الاخير الذى اشتركت فيه هنا . قيلت في البداية شتى الكلمات الطيبة عن عملى والتى لن اوردها هنا . ثم نهض سكرتير لجنة المحافظة بيوتر سافيليفيتش ريزنيك الذى يتولى مسائل الزراعة . كانت عيناه مزويتين بمكـر واذكر كل ما دون في المحضر كما هو :

«الرفيق ريزنيك : حسنا . سوف نتبارى الان مع الرفيق بريجنيف . ومحافظتنا على فكرة ، في صعود وارس اساس لا باس به . اولا بذرنا بدلا من ٥٠٠ الف في هذه السنة ٦٠٠ الف هكتـار والمزروعات الخريفية في احسن حال . ثم اننـا حرثنا الارض الشتائية وانجزنا خطة الدولة والان نقدم المزيد . فسيكون على الرفيق بـريجنيف ان يوفر في دنيبروبيتروفسك شحنة كالتى وفرها في زابوروجيه . واستطيع ان اؤكد انه سيواجه مشاكل (ضحك في القاعة) .

الرفيق بريجنيف : ينبغى أن يوضع في الحساب ان في دنيبروبيتروفسك بلاشفة أقوياء .

الرفيق ريزنيك : ولكن اعتبروا فان الاعمـال هناك قوى ايضا ! (ضحك) .

الرفيق بريجنيف : شكرا يارفاق ! اما بخصوص المباراة فانها ستتسم بطابع سليم بلشفى ...»

-٧-

وهكذا محل جديد للعمل ...

ما كنت طبعا فقدت كل هذه السنوات صلتى بالبقعة التى ولدت وترعرعت فيها . فحين كنت اعمل في زابوروجيه كنت ازور عند كل فرصة تسنـح والدتى واقربائى وازور مصنعى واتوجه لقضـاء الأعمال الى مركز المحافظة المجاور حيث كنت طبعا اعرج على لجنة المحافظة والتقى برفاقى القدامى في العمل . وها انا الان في البيت من جديد ولمـدة طويلة . انتخبت سكرتيرا اولا للجنة الحزب في

المحافظة . والآن لم نعد نتذكر مع الرفاق القدامى الازمان المنصرمة فقط وانما نتحدث عما سوف نفعله غدا .

اشتهرت محافظة دنيبروبيتروفسك قبل الحرب بتعدينها وبعشرات مناجم فلزات الحديد والمنغنيز وبالغلة الوفيرة من الحنطة والذرة وغزارة منتوج تربية الماشية . كانت هذه واحدة من اكبر محافظات اوكراينا الزراعية والصناعية . وبالرغم من انني درستها دراسة لا باس بها في السنوات السابقة للحرب ، كان لابد لي الان من التعرف من جديد وبسرعة بسير الامور وفقه المشاكل وفهم المهمات القريبة ورسم الآفاق .

كان الخراب هنا ايضا فظيعا . فقد نسف الهتلريون واحرقوا في دنيبروبتروفسك مائة وسبعين مصنعا وستمائة وسبعا وخمسين عمارة سكنية ضخمة وثمانية وعشرين مستشفى . وخلعوا ونقلوا الى المانيا ثمانية وستين كيلومترا من خطوط الترام واكثر من مائة كيلومتر من اسلاك التماس النحاسية . وهدموا مسرح الاوبرا والباليه والمتحف الفني والجامعة والمدارس والمعاهد والمحطات وجسور السكة الحديدية كلها تقريبا وحول الفاشيست قصر عمال التعدين الرائع الى اسطبل فقسموا الصالات المشرقة الى معالف وتكدس فوق الارضية الخشبية سرقين الخيول .

وحاول الفاشيست تدبير انتاج المعدن في هذه المحافظة . فقدم طائرين ممثلو شركات «شتاليفيركي» و«براونشفايغ» و«فوش» و«فيراينغتي-اليومينيومفيركي» و«يونكيرز» . ارادوا تعمير مصنع الالمينيوم في زابوروجيه و«دنيبروسبيستال» (مصنع الفولاذ الخاص-المترجم) و«زابوروجستال» ولكن النشاط التخريبي الذي مارسه الانصار ومقاومة عمالنا احبطا كل نواياهم صحيح أن المحتلين افلحوا مع ذلك تدبير نوع من الانتاج في دنيبروبيتروفسك . فبعد محاولات عديدة فاشلة لتشغيل افران الصهر العالية وغيرها افتتحوا في مصنع التعدين باسم بتروفسكي ... معمل للحلويات ...

اتذكر وكانه الان اليوم السعيد ، يوم تحرير الاماكن الحبيبة الى نفسي دنيبروبتروفسك ودنيبرودزيرجينسك كان مقرنا في شبه جزيرة تامان . وكانت مساكننا موزعة في منطقة المزرعة الحكومية السابقة لتربية الماشية . وصارت المباني الانتاجية للمزرعة بمنزلة الخيام لنا . وفي ليلة ٢٥ تشرين الاول عام ١٩٤٣ جاءني يعدو الجنرال زاريلوا وايقظني :

- يالها من فرحة-حرروا دنيبروبتروفسك ! اقتحمت قواتنا واحتلت كلا من دنيبروبتروفسك ودنيبرودزيرجينسك ! موسكو تطلق اطلاقات التحية !

كنا في ذلك الوقت قد اعتدنا اطلاقات تحية النصر ولكن هذه كانت ذات صفة خاصة لدى وكنت وانا في الجبهة استعلم دوما كيف تسير الامور في محافظة دنيبروبتروفسك بعد طرد المحتلين . وفي اليوم الثالث يوم ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٣ وضع عمال مصنع بتروفسكي حيز العمل واحدا من توربينات محطة الكهرباء والتدفئة فمدوا المدينة بالكهرباء . وفي صيف عام ١٩٤٤ شغلوا فرن مارتن الاول . واثر في نفسي حتى سالت دموعي التمثال المتواضع في مصنع دزيرجينسكي العزيز ، في الساحة امام بوابة المصنع .. لقد كانت مطروحة على القاعدة سبيكة فولاذية . لا اكثر من ذلك . وعليها عبارة تقول :

«السبيكة الاولى صهرت يوم ٢١ تشرين الثاني عام ١٩٤٣ في فرن مارتن رقم ٥ في اليوم السادس والعشرين بعد طرد المحتلين الالمان من دنيبرودزيرجينسك . الصهيرة رقم ٥-١ الصاهرون ف . اي . ماكليس وغ . آ . بالكراتينكو» .

رووا لي ان فراس ايوسيفوفيتش ماكليس وغورديه التيبوليتش بالكراتينكو فضلا عن انهما صهرا هذا الفولاذ الاول وتوليا ازالة جدران وسقف الفرن المهدم واخرجا كتلة المعدن الباردة وترميم الفرن ، كان كلاهما متقدمين في السن وشاركا كلاهما في الحرب الاهلية وكان كلاهما جنديا المدفعية في القطار المدرع الذي جمع في مصنعنا في عام ١٩١٩ البعيد . وكان كلاهما يجسدان الناس الكادحين الذين قال عنهم فلاديمير ايليتش لينين عام ١٩١٩ نفسه :

«ان العامل ، الكادح هو القوى المنتجة الاولى للبشرية كلها ، فان يصمد للقد ولعمر كل شيء» .

لقد تاكدت هذه الفكرة بعد الحرب الوطنية العظمى بسطوع خارق . ويودي بهذا الصدد ان ادلي بالفكرة التالية . يدور في العالم صراع النظامين الاجتماعيين . وقد بدأ في حياة لينين ويستمر اليوم . والمقارنات لا بد منها-كم صهر من الفولاذ واستخرج من النفط وانتج من الكهرباء والخبز والقطن . ونحن نلجا الى هذه الحسابات ويجريها خصومنا الايديولوجيون ايضا . وهم مضطرون الى الاعتراف بأن الاتحاد السوفيتي لحق بالولايات المتحدة الامريكية ، مثلا ، من نواح كثيرة وسبقها بعيدا بعدد من أهم المؤشرات الاقتصادية لكنهم يبرزون دوما مؤشرات اقتصادية ما زالت الدولة الراسمالية الكبرى تحتفظ فيها بقصب السبق.

وهم يجتهدون عند ذلك في طمس تلك الظروف التاريخية التي كنا نحن فيها وكانوا هم فيها ويحاولون حجبها عن القراء والمستمعين . في حين ان احد الجانبين في هذه المباراة التي يصفونها بانها «شريفة» كان يثرى من اية حرب . فهو يحميه المحيط من غزوات العدو بينما كان الجانب الاخر يتعرض لاستفزازات متواصلة ويتحمل اثقل اعباء الحروب والتدمير وكان مضطرا الى البدء في مجالات كثيرة مما يكاد يكون صفرا . وهكذا كانت الحال في محافظة زابوروجيه وفي محافظة دنيبروبتروفسك وقد شاهدت ذلك عيانا . وهكذا كانت الحال في كل ارجاء البلاد . لقد افنت الحرب العالمية الثانية ثلث ثروتنا الوطنية .

ويخطر بالبال تلقائيا ماذا كنا سننجز واي شوط كنا سنقطع الى الامام في التطور الاجتماعي والاقتصادي معا لو انهم لم يعيقونا ولم يضعوا العصي في عجلتنا ولم يصرفونا عن العمل السلمي ولم يضطرونا بسباق التسلح الى تبذير طاقات كبيرة واموال طائلة على دفاع البلاد . اذن فما هذه القوة الملازمة للنظام السوفيتي ولشعبنا وما نحن قد توصلنا ، بالرغم من كل هذه العراقيل والعقبات الى ارفع مستوى للاقتصاد والعلم والثقافة وهو الذي استقبلنا به الذكرى الستين لاكتوبر !

... عملت في زابوروجيه سنة وثلاثة اشهر فقط . ولكنني انتقلت الى دنيبروبتروفسك ومعي خبرة معينة . وهنا ايضا بدات بالتطواف بالمصانع والمزارع وغالبا ما كنت أزور المشاريع وانزل الى المناجم . وسعيت الى الاختلاط باكبر عدد ممكن من الناس . ويعرف الكثيرون طبيعة العمل الحزبي ولهذا فساتحدث عن امر آخر-عن اسلوب هذا العمل ، حتى ذلك الوقت كانت التجربة العملية والحرب والاختلاط بالناس والقراءة والتامل قد عينت بالطبع اسلوبي في العمل والحياة . ومن الناحية المبدئية يجب ان يكون لدى قادتنا كلهم اسلوب واحد هو اللينيني الحزبي . وهذا هو الواقع بشكل عام . ولكن مع ذلك يمكن ان تكون لدى كل واحد منهم خصائصه . فمع عمومية مهمات السكرتيريين الاوائل للجان المحافظات ودائرة واجباتهم ودرجة مسؤوليتهم تترك سمات طبع الانسان اثرها في هذا العمل حتما .

كان علي في دنيبروبتروفسك ان احل محل رجل سبق ان عرفته قبل الحرب . كان نايديونوف آنذاك رئيسا للجنة التنفيذية في المحافظة .

وهذا الانسان الجبهوي النشيط والقائد الحازم والشريف بعمق ورفيقي الطيب اتذكر له كثيرا من الحسنات . الا انه كانت في عمله عيوب ايضا فكان سير الامور في المحافظة ليس ممتازا وانتهى ذلك بان اثارت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لعموم الاتحاد السوفيتي مسالة تبديل القيادة .

ونفعتني خبرتي الحياتية هنا ايضا ، في دنيبروبتروفسك . واتذكر تعرفي لاول مرة بمدراء المصانع الكبرى . كان موسم الحصاد . فسالت غازين رئيس قسم الزراعة لدى لجنة المحافظة كيف حالة النقل عندنا ؟ كان الجواب ذاك الذي توقعته : سيئة . وسيارات المدينة ؟ فاجاب بان الواجبات قد وزعت على المصانع- كم سيارة شحن يرسل-ولكن المدراء يماطلون ويخدعون وحين يعطون انما يعطون اسوأ ما عندهم .

كان في هذه القضية نظام معيب : في الاعلى ارقام ماخوذة بلا سند وفي الاسفل تحايل الناس الذين ينبغي لهم ايضا تنفيذ خطة المصنع . وكان المطالبون والمطالبون عند ذلك يدركون مما خير ادراك انه اذا كان مثلا اربعون سيارة فانهم ينتظرون لا اكثر من عشرين وكان هذا يتكرر كل سنة . جلست الى التلفون ورجوت وصلي بمدير مصنع ليكوبول للانابيب تيخونوف . حييته وقدمت له نفسي ثم قلت :

- ساقدم اليكم ، يا نيكولاي الكسندروفيتش، حتما، ولكن فيما بعد اما الآن فساعدونا من فضلكم لقد نضج قمح ممتاز . ادرى انكم مدير جيد وادرى ان لديكم مصنعا جيدا . فان استطعتم مساعدة الجني سنكون شاكرين جدا . ولكن ارجوكم خيرة السائقين وسيارات صالحة .

فقال بعد لاي :

- استطيع ان اخصص خمس عشرة .

- فكروا وتشاوروا مع الناس . مؤسف ان نضيع القمح ...

وتحدثت مثل هذا الحديث مع بقية المدراء ، لم يرسلوا العدد المعين في التوزيع من سيارات الشحن الى الجني ولكننا تلقينا سيارات جيدة فعلا وتكاد تكون ضعف ما كان في السنوات السابقة وقد امكن التوصل الى ذلك بمجرد حديث هادىء السالي .

لقد ادركت في ذلك الوقت ادراكا راسخا انك حتى وان اختلفت مع احدهم حول مسالة مبدئية ينبغي لك بطريقة انسانية ان تسعى الى عدم الانتقاص من الموظف وعدم محاصرته وعدم اهانته يمكن القول : «هراء ما تقول» ويمكن اذا كان الانسان مخلص القول «شكرا على النصيحة سنفكر وماذا لو جربنا هكذا ...» لقد ادركت انه ينبغي كبت الانفعالات وانني في المنصب الذي رفعني اليه الحزب لا املك الحق في الكلمة المنفلتة. حين كنت اجمع الناس للتشاور كنت استنصحهم فعلا وامكن كل واحد من التعبير عن رايه ، ولم اكن استعجل في الادلاء برايي . اذ ان ثمة ايضا رفاقا يتصيدون وجهة نظر «الرئاسة» وينتهي عند ذلك كل شيء فلن تسمع رايا آخر .

القائد مرئي دوما ولذا فهو لايمكنه ان يبدي ارتباكا وانحلالا . وهو مهما كان في قرارة نفسه ملزم بان يكون ملموما منشرحا ويجب ان يتمسك بزمام اعصابه لكي يقتبس الناس منه شحنة الثقة اننا نستهين احيانا بدور الهزل في حين ان بالامكان غالبا جدا مساعدة القضية بمزحة .

كنا في ذلك الوقت نعد مساعدة المصانع للمزارع ، مساعدة رعاية دافعا هاما للنهوض بالزراعة . وكانت هامة على وجه خاص البيادر المسقوفة . وكان ممكنا طبعا البدء من جديد بتوزيع الواجبات والاوامر والمحاسبات . ولكنني سلكت طريقة اخرى . اجتمع ذات مرة في لجنة المحافظة المدراء بالاكين وبوبوف وكوروبوف وسالكين وغيرهم ، ودارت المحادثة حول شؤون المصانع . فقلت فجاة :

- نقل لي ان بيتر فاسيليفيتش عبر عن الرغبة في تجهيز عشرين بيدرا مسقوفا .

ذهل سافكين مدير مصنع لينين وفيما بعد بطل العمل الاشتراكي حتى شرق :

- كلا يا ليونيد ايليتش ، عشرين لا اطيق تسعة امر محتمل على كل حال .

- حسنا اتفقنا ! وماذا يقول ايليا ايفانوفيتش ؟

بعد ذلك ضحكنا جميعا لكن القضية تحركت من مكانها . او حادثة اخرى . استدعيت في الصيف في عز الحر رئيس هيئة التخطيط للمحافظة ومدير قسم الصناعة المحلية لدى لجنة المحافظة . تحدثنا عن القضايا الدورية وسالت وكانني بدون قصد :

- حبذا لو شربنا الكفاس (مشروب روسي منعش-المترجم) ما رايكما ؟

- حبذا- اوما معا .

- هل هو يصنع في المحافظة ؟

- لا ... حتى الآن .

دست على الزر ، فجاءوا الى المكتب ، كما كان الامر متفقا عليه ، بابريق من الكفاس الذي جلبته احدى الموظفات من البيت .

- تفضلا ...

كان رئيس هيئة التخطيط دريوتشينكو صاحبي القديم الذي خدمنا سوية واياه في زابايكاليه في سرية دبابات واحدة . ادرك هو فورا الى ماذا ارمي . سالته :

- كيف ، ياغريغوري ،. الكفاس جيد ؟

فاجاب :

- سنعكف . اليوم سنجمع المؤولين . فقلت :

- كيف لا تخجلون . اذا كان الحر هنا عندنا هكذا فكيف الحال الان عند افران الصهر العليا ، عند المراجل ؟ بم يروى العمال غليلهم ؟ ومن غير هيئة التخطيط وغير الصناعة المحلية مطالب بان يفكر في ذلك ؟ المواعيد !

وبلغنا المرام . ظهر الكفاس في المدينة خلال ذلك الصيف .

الناس مختلفون فتبغي مخاطبتهم بلغة مختلفة ايضا . واحيانا يكون الصمت هو الاخر بليغا كانت مسالة تشغيل ورشة درفلة القضبان في مصنع بتروفسكي عويصة . كانت المواعيد توشك على الانقضاء بينما كانت النواقص في الاهمال

والخلافات بين المصممين والبناة والمقاولين . فكان لابد من جمعهم في لجنة الحزب للمحافظة . واستمر النزاع الداخلي هنا ايضا فقد كان الجميع يلومون المصنع بحجة انه يسوف التسلم . انذاك نهض رئيس ورشة درفلة القضبان وصار يعد باصابعه : هنا القلاووظ لم تشد وهناك قطعة في غير مكانها وثالثا الكهرباء لم تدبر-فهو لايستطيع توقيع الوثيقة وهو نفسه سيعمل على هذه الماكنة .

ادلى الجميع بارائهم . وكالعادة انتظروا خلاصة السكرتير الاول وربما التوبيخ ايضا ولكني اكتفيت بالسؤال :

- ايها الرفاق ، اواضح للجميع ماينبغي فعله ؟

فاجابوا :

- واضح .

- اذن روحوا وافعلوا .

هذه هي الكلمة الختامية كلها . لقد رأيت ان الاشخاص حين تهيئوا للاجتماع استوضحوا كل ما لديهم من خلل وشعروا بمسؤوليتهم . كان من المهم تمكينهم من الشعور بان لجنة الحزب للمحافظة تراقب هذا المشروع الهام وتثق بانهم سيفلحون في اداء مهمتهم ، وهذا ما حصل .

-٨-

كانت لجنة محافظة دنيبروبتروفسك تولي اهتماما كبيرا جدا لانتقاء الكوادر وتوزيعها وتربيتها . برزت هذه المسالة انذاك بكل حدة . فقد استشهد الالوف من العاملين في الحزب والمجالس على الجبهات وفي فصائل المقاومة والعمل الفدائي . وكان الاشخاص الذين حلوا محلهم تعوزهم الخبرة والمعارف . «مسالة القيادة هي مسالة الكوادر» هذا هو المبدا الذي كنا نسترشد به عند تدبير العمل . وغالبا ما كانت لجنة المحافظة تناقش الصفات السياسية والعملية لدى الشيوعيين المرشحين الى مناصب القيادة وتطالب بمزيد من الجراة عند ترشيح اشخاص اكفاء حازمين . وقد دل الزمان عموما على اننا لم نخطىء فيهم .

وصادف طبعا عاملون غير مخلصين وقادة «تخمروا» واشخاص ذوو «نفوس منخوبة» (تعبير من محاضر انذاك) . وكنا غير مهادنين معهم . جرى في البلاد خلال شهر كانون الاول عام ١٩٤٧ اصلاح نقدي، فكان ثمة من الرجال من استغل منصبه ومعرفته مسبقا شروط تبديل العملة فاندفع الى وضع النقود في صناديق التوفير لكي يربح من ذلك . وقد اصررت على فصلهم من الحزب . وهكذا تماما توصلت الى ان يقال من المناصب (بدون تشغيل في وظائف اخرى قيادية ايضا) الاشخاص الذين كان العمل يفشل على ايديهم بسبب عجزهم وضيق افقهم. كنت اسى لبعضهم بشكل انسالي ولكن لايجوز ان يكون المرء طيبا على حساب الدولة .

اما اولئك الذين اثبتوا قدرتهم على العمل والذين وثقت لجنة المحافظة بهم كان ينبغي ان يشعروا بهذه الثقة . كان يدير القسم العام للجنة المحافظة عندنا ماليارينسكي الذي كنت اعرفه قبل الحرب والتقيت به في الجبهة . قلت له بعد وصولي الى دنيبروبتروفسك «تعال في اى وقت اذا لزم الامر» وبالفعل كنت أصغي اليه دوما واعضده واساعده حين ينبغي بالنصيحة . كنت ارى انه عارف بالامور وينبغي اعطاؤه المبادرة الى تنفيذ تلك المهمات التي انيطت به .

واذ اظهرت لكثير من العاملين اني اثق بهم وسلمتهم فعلا البت في معظم المسائل الجارية وفرت لنفسي الوقت لتحليل الوضع وتدبر مشاكل المستقبل وطرح المهمات المبدئية . وكانت الاولى من هذه المهمات قد المت بها الماما راسخا منذ ان كنت في زابوروجيه . وهي التوصل الى تحسن ملحوظ سواء في العمل التنظيمي او الحزبي السياسي . وقد قلت بهذا الصدد امام المؤتمر الحزبي للمحافظة في شهر شباط عام ١٩٤٨ :

- تتلخص المهمة في التوفيق الصائب بين العمل الحزبي والقيادة الاقتصادية . وهذا فن . وينبغي تعلم هذا الفن في العمل الحزبي ...

وينبغي القول انني انا نفسي كان علي ايضا ان اتعلم طوال الوقت . وهذا ضروري طبعا للجميع فالوضع يتغير باستمرار وتظهر مشاكل جديدة وعلى القائد الحزبي اذا لم يرد ان يتخلف ان يتعلم طوال حياته كلها .

ادركت في دنيبروبتروفسك المرحلة الدورية من الترميم . كانت المصانع قد بدات تعطي المنتوج وبالرغم من ان كثيرا من ورشها كان لايزال مهدما وبالرغم من ان كثيرا من المناجم كان لايزال مغرقا كانت الصناعة تنهض على قدميها . فكان المطلوب انذاك دفع بناء المساكن والثقافة والشؤون المعاشية ولكي تكون حدة المسالة واضحة اورد مقطعا من الخطاب امام المؤتمر الحزبي العاشر لمدينة دنيبرودزيرجينسك :

«ارى في القاعة كثيرا من الرفاق الذين سبق ان درسنا معا والذين يعملون الان رؤساء للورش ورؤساء للنوبات-الرفاق ليفينوف واولينيك وغريتشكين واخرين . اريد ان اقول لهم ولكم جميعا قولا صريحا. ان لجنة المحافظة ولجنة المدينة للحزب لا تمارسان بناء المساكن بالقدر الكافي فالى اى حد بلغ الامر اذا كان على ان ابلغ المؤتمر ان خطة السكن لم تنفذ باكثر من نسبة ١١ بالمائة .

صوت من القاعة :

- بنسبة ٧ بالمائة !

- حتى بنسبة ٧ بالمائة . ان هذا عار ! نحن نقول لابد من تثبيت العمال بينما نصبر على هذه الحالة . يجب على قوام لجنة المدينة ولجنة المحافظة المنتخب من جديد ان يضع حدا لذلك . لقد عانى الناس ما فيه الكفاية في سنوات الحرب وتحملوا الكثير من الحرمان من اجل انتصارنا وهم على حق الان في المطالبة بتحسين ظروف المعيشة . ونحن البلاشفة قدمنا للشعب صكا معروفا باننا سنرفع مستوى الكادحين المادى والثقافي . ونحن ملزمون بدفع الصك الذى قدمناه !»

كانت صعوبة الوضع تتلخص في ان المجالس المحلية كان لديها القليل من النقود . فالاموال الاساسية كانت في ايدى مدراء المصانع وهؤلاء رفضوا بناء المدن . ففي دنيبروبتروفسك لم يكن في الواقع مركز وكانت جادة كارل ماركس لاتزال تحت الانقاض . اما في الاطراف فقد كانت تبنى بلدات عمالية بسيطة . حتى انهم ابتكروا مايشبه نظرية تزعم بان رؤساء الورش-ورش الافران وصهر الفولاذ والدرفلة-يجب ان يسكنوا في المصنع . اذ لم يكن انذاك تلفون ولا ترام ولا سيارات وكان في احسن الحالات عربة يجرها حصان . (اتذكر ان احد القادة حين سئل لماذا تاخر عن الاجتماع اجاب بصوته الجهير «ليس لدى سيارة والحصان تركته للصيانة !»)

كان لابد من اجبار المصانع على بناء مساكن تتوفر فيها وسائل الراحة ، لا منازل موقتة رخيصة وليس في اطراف المدينة بل في وسطها . وقد برهنت في حديث ودي مع المدراء ان سياستهم في ادارة البناء لاتعطي غير وهم ادخار الاموال وهي ستنقلب خسارة ان عاجلا او اجلا . وجرى في مكتب لجنة المحافظة حديث رسمي عن اننا ملزمون بتعمير الجادات الرئيسية في المدينة واقامة مساكن جميلة على جانبيها واسكان خيرة المنتجين ومشوهي الحرب الوطنية واسر الشهداء فيها كيما يتحسسوا فعلا عناية الحزب والحكومة بتحسين حياتهم . الا ان القضية تحركت ببطء .

في نهاية ايار عام ١٩٤٨ قمت بجولة اخرى في المحافظة كلها ، فزرت نيكوبول وبافلوغراد وكريفوي روغ ونوفوموسكوفسك ومارغانتس فشاهدت الكثير . وترسخت افكارى فجمعت مدراء كبار المصانع وقلت لهم صراحة ان لجنة المحافظة لن تصبر بعد الان على الطريقة الحرفية فيجب ان تغدو المدينة مدينة ، ولقد حان وقت ذلك . ظل المدراء محترسين وقالوا انهم سيفعلون ذلك بكل تصاميم جيدة وقاعدة البناء ضعيفة ، وماشاكل ذلك مما يقال في هذه الحالات . قلت في الختام :

- عندى اقتراح . هلموا بنا جميعا نشاهد بناءا سريعا حسن التنظيم . ولنقرر ماذا يمكن اقتباسه وما علينا السفر بعيدا . اموافقون ؟ فاجابوا :

- موافقون .

- حسنا لن نؤجل القضية . الالتقاء غدا عند مبنى لجنة المحافظة في السابعة بالضبط .

وهانحن نتحرك في الساعة السابعة صباحا في صف من بضع سيارات-المدراء وقادة مؤسسات البناء والعاملون في لجنة المدينة واللجنة التنفيذية لمجلس المدينة . اتذكر ان اليوم كان غائما ومررنا بمالدريكوفكا، احدى الضواحي ذات البيوت الصغيرة المتلاحقة على المنحدر، واتجهنا نحو الجنوب على طريق خرب . كان خاليا على امتداده كله تقريبا وكدنا لانصادف عابرا ولم نر سيارة واحدة . كانت القرى على الجانبين محترقة والحقول محفورة بالخنادق الا بعض الاماكن حيث كانت تعمل جرارات او ساحبات انشئت . سرنا هكذا زهاء ساعتين ثم تسلقنا اكمة فتكشفت في الاسفل باتوراما دنيبروغيس . وكانت تنبسط وراءه في وهدة مدينة كبيرة بيضاء . وهنا برقت الشمس وصارت اشعتها تتلاعب في النوافذ فبدت البيوت عالية ومشرقة ... غمرني شعور دافىء كنت متوجها الى زابوروجيه بصفتي ممثل المحافظة المجاورة ولكنني كنت هناك في الوقت نفسه واحدا من ابنائها .

ليس عبثا القول ان ترى مرة واحدة خير من ان تسمع مائة مرة . لقد شاهد صحابي الاسفلت من الخرسانة الذى طالما تحدثت عنه . وابدوا اهتماما بالرافعات ذات القابلو الذى كان يستخدمها بناة زابوروجيه . وتطلعوا بانتباه خاص كيف يمد انبوب الماء «بطريقة النقب» . كانت المرافع الهيدروليكية تدفن الانابيب ذات ٨٠٠ ميلمتر في التربة . وهكذا كاد العمل يقطع امام اعيننا حيا كاملا كان الكثير طبعا من الاسئلة عن المواعيد وعن الكلفة وعن انتاجية العمل وعن مواد البناء . ثم تناولنا الغداء في مطعم العمال وعدنا الى بيوتنا في ساعة متاخرة من الليل . واتضح في طريق الاياب ان اثنين من المدراء لمصنع بابوشكين ومصنع ليبكنيخت قد اعجبا ببيوت مناسبة عديدة الطوابق وحتى انهما قد اتفقا على استخدام التصاميم مجددا ... وبعد نصف سنة نشات هذه المباني الجميلة على الجادة الرئيسية فاعطت دفعا لتعمير المركز . وهكذا ارسيت البداية !

ولعل مصير الكورنيش تكون بشكل اكثر طرافة من غيره . وهو الان اجمل بقعة في المدينة . اما حينذاك فلم يترك الفاشيست منه سوى الانقاض كنت اتصور هذا الكورنيش مصورا . ولكن الاقتصاديين حين امعنوا في الافاق الزاهية لم يعد لهم الا هز رؤوسهم : «من الذى سيعيش حتى يرى هذا الجمال ؟» لقد عاشوا كلهم تقريبا ! فان الشعب قد فطن سريعا جدا ان السكن على الشاطىء امر لاباس به ، فدنيبر هو دنيبر . فاندفع الناس يرجون قطعا ولكن بعد فوات الاوان اذ ان اللجنة التنفيذية لمجلس المدينة قد وزعتها للتعمير .

غني عن البيان ان البلاد كانت توجه الطاقات الاساسية والاموال في السنوات الصعبة التالية للحرب لبعث الصناعة والزراعة وكان هذا مشروعا وعدلا . ولكن هذا الشعار الصائب كان يختفي تحته احيانا التقاعس وسوء التدبير وعدم القدرة على العمل في حين ان التخلف في السكن والنقل والامور المعاشية والثقافة يترك اثره حتما في انتاجية العمل وبالتالي في زيادة الانتاج ايضا .

كانت لجنة الحزب للمحافظة تطالب بالمبادرة من القادة في الحزب والمجالس والاقتصاد . ذات مرة قلت لسكرتيرى لجنة الحزب الشيوعي (البلشفي) الاوكرايني لمدينة دنيبروبتروفسك تازاسوف وخرابونوف ولرئيس اللجنة التنفيذية لمجلس المدينة فافريلينكو :

- خذوا حقيبة كبيرة وارحلوا الى موسكو لمراجعة الوزراة حتما . احكوا لهم عن الخراب واروهم الصور ، كي يعطوا الاموال حسب المناهج بالخصص لبرج اسالة الماء والترام ولرياض الاطفال وللمساكن . قولوا لهم ان هذا لازم لعمالهم هم انفسهم . ادخلوا بحزم وطالبوا بصلابة فانتم شيوعيون وعلى الشيوعي ان يكون شجاعا .

لزم التصرف هكذا ، وقد عاد هذا بنتائج حسنة كانت المصانع تصب الاسيجة المشبكة من الحديد للجنينات وتقيم المصابيح والاعمدة لخطوط الترام وكان الوف من العمال والموظفين يخرجون الى العمل ايام الاحاد يزيلون الاكوام ويغرسون الزهور والاشجار . انذاك الشيء متنزه تشكالوف ومتنزه شيفتشينكو وهما الاجمل في المدينة . وكم كانت فرحة الاطفال كبيرة حين افتتح لهم خط مصغر للسكة الحديدية . ثم حصلنا من المجلس المركزي للنقابات على الاموال لتعمير قصر يعود لعهد الامبراطورة يكاترينا . وتقرر تسليمه للطلاب فاشتغل كل واحد من طلاب المعاهد العليا خمسين ساعة في البناء . وهكذا ظهر لدينا قصر الثقافة للطلاب ، الاثر المعماري البديع واشهر نوادي الشباب في دنيبروبتروفسك :

ولكن ينبغي ان اضيف هنا ما يلي . على القائد الحزبي حين يطالب الناس بالمبادرة ان يبسط عليهم في الوقت اللازم جناح حمايته وان يتقبل الضربة بدلا عنهم . هذا ما حدث مثلا مع مدير مصنع الانابيب في نيكوبول تيخونوف . لعله كان يعتني خيرا من الاخرين بمعيشة العمال وسارت الامور عنده في المصنع بشكل حسن . (وهذا على فكرة امر طبيعي فحيث لا توجد عناية بالناس لاتنتظر هناك عملا جيدا) . فافتتح تيخونوف ، تاييدا للخط الذي سلكته اللجنة الحزبية في المحافظة ، مستشفى للعمال المرضى ونظم مطعما جيدا للعمال واخذ يصلح الطريق الذى خربه الفاشيست . وكان من اوائل من رمم نادى المصنع في المحافظة . ولكن خصصوا له للتصليح ، كما اتذكر ، سبعمائة الف روبل ولزم انفاق زهاء ثلاثة امثال هذا المبلغ وقدم المدقق تيلوسينيان الينا . كنا راحلين ثلاثتنا فراغ ايفان فيودوروفيتش يوبخ المدير .

- من اين ، ايوانفيليو ؟ امن اجل هذا الطوك النقود ؟

عند ذلك توقفت السيارة وترجلنا . كان امامنا مبنى النادى الفسيح النظيف الجميل .

قلت وكانى اؤيد الوزير :

— اجل شيد هذه «الفيلا» لنفسه شخصيـــا ! فتنحنح تيغوسيان . واصلنا سيرنا واستدرنا الى الطريق الجديد وهنا غضب مرة اخرى والتفت الى المدير قائلا :

— مـا العمل معك ؟ لقد تلفنـــوا لى من وزارة المالية . لقد وصل الى علمهم امر هذا الطريق قلت :

— ولجنة المحافظة تدرى ايضا . ما كانت لولاه النوبة الليلية . انه لم يصنع ذلك لنفسه ، يا ايفان فيودوروفيتش . لـم يضع النقود فى جيبه الخاص اتريدون ان ننهى هذا الطريق كمشروع شعبى ؟

وهكذا فعلنا فيمـا بعد . ونحينا العاصفة عن المدير الجيد . وغدا هذا معروفا فى المحافظة . فان امورا كهذه تنتشر سريعا وهى بالطبع مفيدة ويتردد صداها فى اماكن اخرى .

—٩—

العمل هذا هو المحك الذى تعرف به قيمة الانسان الحقيقية . اما الذى لا يعرف العمل ويجلس فى غير مكانه فذاك سيحاول ان عاجلا ام آجلا سد نواقصه بالتضخيم وما شاكل ذلك. كيف قال كاتب الحكايات كريلوف؟«... لكن التملق يجد فى القلب زاوية دوما».

كنت عادة اقول لامثال هؤلاء :

— لتقترحوا امرا جديا . لا حاجة بنا الى المدائح والانحناءات . ليس من اجل هذا دعوناكم الى لجنة المحافظة ..

وامر اخير ، طالمـا الحديث عن اسلوب العمل عن المعاملات مع الناس : لقد ادركت انه لا ينبغى محاولات لتغييرهم على هواك . فلا ينتج من هذا عادة اى شىء حسن . على القائد الحزبى ان يتقبل رفاقه فى العمل كما هـــم عليه . وان يعرف حتما مواطن الضعف فيهـــم ولكن ان يرى ويوجه لخير القضية مواطن القوة ايضا . يخطر ببالى هذا المثال .

لم تنتظم فى دنيبروبتروفسك علاقاتى فورا مع ايليا ايفانوفيتش كوروبوف مدير مصنع بتروفسكى اكبر مصنع تعدين فى المحافظـــة . كان هذا ابن سلالة عمالية شهيرة واشتغل ابوه كبير الاسطوات فى ماكييفكا وعمل اخوته ايضا فى افران الصهر بل اظن ان ابناءه ايضا والان احفاده يواصلون التقاليد وكانت اسرة كوروبوف يعرفها ستالين وهى معروفة فى البلاد . وكان كل شى على مايـرام لو ان هذا الرجل ان امكن بتعبير لطيف ، لم يكن يفقد احيانا الاحساس بالواقع ولم يكن فيه خيلاء .

على كل حال كنت اطبق خطى واسلك مع كوروبوف دوما سلوكا معتدلا ، وغالبا ما كنت ازور المصنع والتقى باسرة العاملين واتحدث مع العمال واساند مبادرات صاهرى الفـولاذ فى المؤسسة نيفتشاس وسوتسكو وعامل الفرن تروفيموف وغيرهم . كنت عارفـا ايضا بمواطن القوة لدى كوروبوف . كان خبيرا بالفرن من الدرجـــة الاولى فعلا . ومـع ان غطرسته، ولا اخفى ذلك، كانت تزعجنى قليلا بشكل انسانى ، كان لابد من تخطى ذلك لانه كان موظفا جيدا وبهذا كان يتعين كل شىء .

ونشات فى اوكرانيا فى نهاية عام ١٩٤٩ حالة عصيبة فى موضوع الوقود والطاقـــة الكهربائيـــة وكان مصنع بتروفسكى مثل مصانـع كثيرة اخرى يعمل بجرايــــات التقشف وكان الخطر مسلطـــا على الخطة . وبينمـا كان المدراء يسعون الى الحصول على معونة بوسائلهم ، عكفنا فى لجنة المحافظة على تحليل الوضع. وتاكد لدينا ان كمية غير قليلة من الوقود يرمى بها الى الجو فى هيئة غازات الافران كان الجميع يعرفون ذلك ولكن اذهلنا الرقم الاجمالى: كانت الخسائر تعادل نصف مليون طن من الفحـــم جمعت المدراء : اليكم المخرج ! ينبغى توحيد الجهود وايجاد معدن ودرفلته لصنع انابيب . (من الركام ومن النفايات ومن المنتوج الفائض على الخطة) ومد انابيب للغاز . وعلى ان اعترف بان كوروبوف كان بين الاوائل الذين تمسكوا بهذه الفكرة ولعل الكثير وسرعان ماجسدناها عملا .

وفيما بعد تكشف طبع كوروبوف العنيف. صارت توجه من المصنـــع شكاوى الى اللجنة المركزيـــة للحزب الشيوعى (البلشفى) لعموم الاتحاد السوفيتى واثيرت مسالة اقالته من منصب الادارة . وهنـــا عارضت بعزم ولو ان علاقاتنا الشخصية واكرر لم تكن بالشكل المطلوب .

قلت فى مكتب لجنة المحافظة :

— اعتقد بـــان الرفيق كوروبوف ليس قائدا مفقودا . اجل كانت ثمة اخطاء وكانت ثمة انحرافات وكان من الصواب تبيانها له . ولكنى على يقين انه يجب ان نناضل ايضا من اجل هذا الرجل .

انحصر الامر بتوبيخ . وكان ذلك مفيدا . ظـل ايليا ايفانوفيتش يترأس المصنع لبضع سنوات وفعل الكثير لتطوير انتاج التعدين فى البلاد كلها وصار عالما بدرجة دكتور فى العلوم التكنيكيـــة واستحق جائزة لينين ولقب بطل العمل الاشتراكى اذن فانا لم اخطىء اذ شفعت له .

جرت حادثة مماثلة فى زابوروجيـه ايضا . كان يترأس دنيبروستـــروى بانى المنشـات المائيـــة المعروف فيودور غيورغيفيتش لوغينـوف . يمكـن القول ان هذا كان رجلا عصاميا . صار عاملا وهو فى الحادية عشرة من العمـر وقدر عليه ان يحارب قوات كولتشاك ودينيكين . ونما وهو لايزال صبيا الى مرتبة مساعد قائد فوج . ثم انهى المعهد واشتغل رئيسا لفرقة عمال فى دنيبروستروى الاول ورئيس عمال فى بوكسان والمحطة الكهرمائية فى اواسط نهر الفولغـــا ومديرا للبناء فى تشيرتشيك . كان هذا رجلا بهى الطلعة مديد القامة حازمـــا ومتقلب المزاج . كان ياخذ على عاتقه كل شىء ولايطيق صبرا على ملاحظات توجه اليه من اى احد .

ان مبدأ وحدة الرئاسة مفيد حتى انــه ضرورى فى مشروع بهذه السعة . ولكنه امر سىء حين يكف «الرئيس الواحد» عن تقبل النقد . وكان لوغينوف خشنا مع الناس احيانا ومندفع ومنفعل حتى انــه اتخذ مسبحة لانه يعرف ذلك عن نفسه . كان يشرح لى قائلا : «اعدها حبة حبة فتهدأ نفسى» . حدثت لى معه اصطدامات جدية. وكان الامر مع هذا الانسان ليس سهلا على وانا حينئذ سكرتير جديد للجنة المحافظة .

كانت الوحدات الاولى فى دنيبروغيس تعمل ولكن تشغيل الباقيات تاخر وانتهى الامر بان صدر قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى (البلشفى) لعموم الاتحاد السوفيتى بصدد النواقص فى البناء . فارسل لوغينوف الذى اعتــاد المديح التحريرى والشفوى برقية الى اللجنة المركزية يقول فيها انه غير موافق بتاتا على هذا القرار . وانعقد يوم ١ تشرين الثانى عـــام ١٩٤٧ اجتمـــاع حزبى لاسرة العاملين فـــى دنيبروستروى كلفونى بان القى تقريرا فيه .

ومرة اخـــرى تحدثت بالتفصيــل عـن النواقص واقنعت الحاضرين بان الاخطاء غير مختلقة ابدا وانما ارتكبت فعلا. ولكنى لم اغرق الانسان كما يقال بل على العكس حاولت ان ابين لـه المخرج اللائق من الوضع . واكدت خصيصا ان لجنـــة الحزب فى المحافظة تقدر لوغينوف كموظف وترى من المهم ان يترأس هو بالذات هذا المشروع الضخم وعبرت عن الثقة بان فيودور غيورغيفيتش سيستخلص العبر من النقد وسيضمن الاسراع بتشغيل المحطة بكامل قدرتها . لقد كنت فعلا ارى واقدر مواطن القوة فى هذا الرجل، معارفه الكبيرة وخبرته الضخمة وحزمه واخلاصه للقضية .

وقلت فى الختام :

— مع كل الاحترام لمنصب لوغينوف وحزبيتـه وطول خدمته ومع كل الضرورة الاكيدة لدعم مكانته كقائد والاستعداد لمساعدته ، اعتقد بان علينا ان ننقد جميع نواقصه بكل صرامـة بدون اية تنازلات للوغينوف رئيسا للبناء ولا للوغينوف شيوعيـــا ونحن عند طرح المسألة بهذا الشكل نستطيع مساعدة البناء ولوغينوف معا . وطرح المسالـــة على نحو آخر ليس طرحنا ونحن ملزمون برفضه رفضا حازما!

حين يكون الانسان عارفـــا بالقضية مخلصـا لها ، وحين يسعى الى الخير العام ينبغى شـــد ازره . فهناك الهدف واحد تقويم الموظف وتصحيحه وتربيته لا تحطيمـه ، فالشىء الرئيسى الكشف عن جوانبه الحسنة واستخدامها للقضية .

ان مسالة النقد والنقد الذاتى من الجدية بحيث ارى انه من المفيد ان اتوقف عندها خصيصا . وليس صدفة ان يثبت فى المادة ٤٩ من دستورنا الجديد ان كل مواطن للاتحاد السوفيتى له الحق فى التقدم الى هيئات الدولة والمنظمات الاجتماعية ، باقتراحات بصدد تحسين عملهـا وانتقاد النواقص فى العمل وان يؤكد ان الملاحقة بسبب النقد ممنوعة .

انى اعد هذه المـادة فى القانون الاساسى ذات اهمية مبدئية . فاذا كنا نسعى اليوم الى تنظيم عال او لعلى اقول ارفع تنظيـم ولرفع تقوية الانضباط على كـل المستويـات–الانضباط العملى والانضباط التكنولوجى والالتزام بالخطة–فانه لابد لنـــا من النظرة الانتقادية المهتمة ذات العناية الى حالة الامور فهى ستساعدنا على ضمان المناخ الاجتماعى السياسى اللازم لذلك . المناخ الذى من شانه ان يلد السعى الى العمل عملا اكثر فعاليـة والحزم التاجية والفضل وان يوفر وضع عدم مهادنة الذين يتغيبون عن العمل والكسالى وكل واقعة تقصير وسوء التدبير والتمويه والتضخيم .

ان حمايـــة القائد من النقـــد تعنى اهلاكـــه . وان ذلك الذى يكف عن تقبل النقد قد خسرته القضية

ولو نبشنـــا الان محاضر الاجتماعـات والمؤتمرات واللقاءات فى تلك السنوات التى يدور السرد حولها لما وجدنا محضرا يخلو من النقد. لقد كان النقد عندنا عمليا مقنعا وبناءا . وكيلا يكون قولى جزافا اورد بضعة امثلة . اليكم الحوار القصير الذى جرى فى الاجتماع السادس عشر للجنـــة الحزب الشيوعى (البلشفى) لاوكرانيـــا لمحافظـــة زابوروجيه عام ١٩٤٧ . اشترك فى المناقشات جليلو سكرتيـــر المنظمة الحزبية لمصنـــع كيروف وسمح لنفسه بتصرف مفاجىء اضطرنى الى التدخل .

«الرفيق جليلـــو : .. مع الاسف ، يوجد فى مصنعنا رفاق اخرون يكثرون جدا من النقد . خذوا مثلا رئيس القسم الميكانيكى الرفيق زايتسيف ...

الرفيق بريجنيف : وانتم ماذا تفعلون ، اتكبتون؟

الرفيق جليلو : كلا . ولكن ينبغى لهم ايضا ان يجيدوا النقد الذاتى .

الرفيق بريجنيف : اذن انتم تريدون ان ينتقدوا انفسهم فقط ، اما انتقادكم فلا يجوز (صخب فى القاعة).

الرفيق جليلو: النقد والنقد الذاتى امر حسن بلاشك ولكن لايجوز النقد من اجل تقويض هيبة القيادة .

الرفيق بريجنيف : مـع ذلك ، الامر غير واضح قليلا . قول مبهم بقدرما ...

الرفيق جليلو : اقول ان بعض الرفاق لايفهمون الفهم الكامل الانضباط الحزبى واداب السلوك الحزبى عليهم انفسهم ان يعملوا لا ان يثيروا المشاحنات .

الرفيق بريجنيف : ان وجد مماحكون هل يستحق الامر الكلام عن ذلك فى الاجتماع ؟ المماحكـــون موجودون فى كل مكان ، اما فى مصنعكـم فالاحرى ان يوجدوا حتما (ضحك فى القاعة) .

الرفيق جليلو: نعم عندنا فى المصنع مكان حرج للغاية.

الرفيق بريجنيف : قدرما افهم ان المكان الاكثر حراجة فى مصنعكم هو النقد . ولاحاجة الى الخوف منه لانه يفترض ايضا احترام الشخص !»

كان موقف لجنة المحافظة من كابتى النقد محددا تمامـــا . وكان يجرى التعبير عنه بدون مواربـــة وبصرف النظر عن الاشخاص . ومن جهـــة اخرى رأيت وانا اقرا هذه المحاضر اننى غالبا جدا ، حين كنت انتقد المرء من المنبر اؤكد فورا ، وارى من اللازم ان اضيف ، اننى اقدره كموظف . ويكون ذكر ذلك ضروريا احيانا .

كان حى لينين اكبـــر الاحياء الصناعيـــة فى دنيبروبتروفسك . وكان السكرتير الاول للجنـــة الحى فيه غيورغى بتروفيتش كوتسوف . وهـــو مهندس تعدين من مصنع بتروفسكى . وكان يعمل بحماسة وتبصر ، ولكن كان على فى احد اجتماعات لجنة الحزب للمدينة ، حيث القى كشف حساب ، ان انتقده بحدة .

— اريـد التوقف عند تقرير الرفيق كوتسوف ليس بودى ان اسىء اليكـم ايها الرفيق كوتسوف ولكن لا يمكننـى ان لا اعبر عن رايى فى اجتمـاع لجنة المدينة . اعتقد بان التقرير ذو لطف ، فهو لم يمس احدا بتاتا ولم يكشف عن النواقص فى عمل لجنة الحزب فى الحى ، ولم تذكروا اسم واحد من مدراء المصانع او سكرتيرى المنظمات الحزبيـــة وركزتم الانتباه كله فى النشاط الدعائى المحدود ولا اتصور كيف امكن الحديث عن ذلك . فاذا مـا استدعونى الى اجتماع اللجنة المركزيـة–هب حول مسالـة الصناعة او الزراعـــة او العمل الحزبـى الجماهيرى–فانا انفق بضعة ايـام لكى اسبر غور الحالة فى المدينة والمحافظة . فاللجنة المركزيـــة يهمها كيف يقدر مكتب لجنـة المحافظة سير الامور فى مكانها ؛ اما عندنا فان موظفا مجربا عمليا مثل الرفيق كوتسوف ، سكرتير لجنة الحى فى اكبر حى صناعى ، يجىء الى اجتماع لجنة الحزب للمدينـــة بدون ان يرى من الضرورى الاستعداد كما ينبغى .

وكما لا يندر ان يحدث فى حالات كهذه ، ظل كوتسوف خلال فترة الراحة منعزلا ، وكان مظهره غير مرح ووجهه عابسا . لاحظت ذلك فاقبلت عليه:

— ارايت كيف وشيت بك ؟

— دعك من ذلك ... لا اتمناه لاحد .

— لكنى ، الم اساندك !

لا اتذكر عم تكلمنا ايضا معه ، ولكن كان المهم هناك افهام الاشخاص ان علاقاتنا لم تتغير : اجل كان انتقاد حاد بقدرما ، لكن هالحن واقفين نتحادث بمودة . لقد بقينا رفاقا كما كنا .

—١٠—

حين اتذكر عملى فى تلك السنوات ، واقلب فى ذاكرتى اللقاءات الكثيرة مع الناس ارى اننى كنت اقدر فيهم ، اول ما اقدر ، العزيمـــة واستقلال الفكر والاهلية ورهافـــة الشعـــور بالجديـــد والقدرة على ملاحظة مبادرة الجماهير وابداعها فى

الوقت المناسب وتاييدهما . وعلى ان اشير الى ان هذه الخصال ، وهذا الاسلوب فى العمل ان شئتم ضرورية لنا اليوم ايضا ، اكثر من غيرها . والمهم ان يستاصل حتى النهايـــة من ممارسة القيـــادة الاقتصادية الافراط فى التحوط والمماطلة والرجوع بدون حاجة فى المسائل الثانوية الى المراجع الاعلى ومحاولة التملص من المسؤولية وتحويلها الى كاهل الغير . ومن المؤسف اننا نواجه هذا .

لقد كنت فى ممارستـــى اسعـــى الى مساندة الاشخاص المتبصرين الجسورين الطليعيين . كنت ادرى ان هذا سيعوض دوما اضعافا مضاعفة . كان المكان الحرج فى منطقة دنيبر كلها لدينا فى وقت من الاوقـــات اكساء داخل افران الصهر بالبلاط المقاوم للحرارة . وحين علمت بان عمال فرقـــة كارباتشيوف يتفوقون دوما فى التنفيذ على المعدلات توجهت اليهم فادركت العمال فى قاع الفرن . جلسنا ودخنا وتحادثنا :

بدأ كارباتشيوف الحديث بالتفصيل :

— نحن نبلط افرانـا مختلفـــة : افران مارتن وافران التسخين وافـــران السقى وافران الشبوى انها كثيرة فى الصناعة وكلها تقريبا ينبغى تبليطها وهذه ليست أصعب الاعمال .

— وانتم يا ايفـــان فيودوروفيتش كم من فرن بلطتم على وجه التحديد ؟

كان عليه ان يعد باصابعه كم كان منهـــا فى كوشفـــا وفى نيجنى تاغيل وفى كوزنيتسك وفى زابوروجيه ... واشيـــر للمناسبة الى ان محادثات كهذه ينبغى ان لاتكون مستعجلة ولا يجوز ابتسارها وكان لسان حالك يقول لا وقت عندى ، هيا عجّل وكن اقرب الى بيت القصيد ! واذا كان يتسنى عادة ايجاد لغة تفاهم مع العمال والفلاحين فان ذلك كما يبدو لانهم كانوا يرون ان اهتمامى بشؤونهم ليس مفتعلا . فقد كنت احصل فعلا على ارتياح من هذه اللقاءات .

وتحدث كارباتشيوف بمثل هذا التفصيل عن تنظيم العمل وعن نظام المكافـات التصاعدى الذى يطبق عندهم وعن كسب الفرقة (كانت الارقام تذكر ، وهذا مفهوم ، بمقادير الاسعار القديمة) .

فقال :

— بالامس كسبت لقاء النوبة مائـــة واربعـــة وخمسين روبلا . فالمعدل تســـع وستون طابوقة اما انا فقد طرحت مائتين واربعا .

— تفوقت بثلاثة أمثاله !

فاوما رئيس الفرقة قائلا :

— تقريبا . ولكن يمكن اكثر . تيخولوف الجز عندنا نسبة ثلثمائة وخمسين بالمائة .

فوجهت السؤال :

— والنوعيـــة ؟ اذ انكـــم تبلطون قاع الفرن والشروط هنا فى منتهى الصرامة .

تبادل العمال النظرات : ادركوا ان الذى امامهم ليس غرا . فتبليط قاع الفرن كان يعد دوما عملا صعبا ودقيقا ايضا . فالدرز بين الطابوق لا ينبغى ان يزيد على نصف ميليمتر . ويسير وراء كل عامل مفتش يفحص الدروز بمجس خـــاص . فهنـــا بالتحديد ، سوف ينسكب المعدن المصهور .

قال كارباتشيوف :

— الدقة فى كمية الخليط ، هذا هو السر الرئيسى والخليط الذى يستخدم عندنا سائل وانت لاتطرحه بالمالج . يجب ان تكون كل طابوقة مبللة من ثلاثة جوانب . وكثيرون يبللونها ثلاث مرات . اما نحن فقد تعلمنا فعل ذلك بحركة واحدة .

طبيعى انك حين تتوغل فى كنه منجزات الصناع الماهرين تسعى الى فعل كـــل مايلزم كيلا تظل «اسرارهـــم» اسرارا . فسرعان ما ساعد مهندسو سويوزتيبلوستروى، بناءا على الحاحى، كارباتشيوف على وصف طرائق عمله كتابة فصارت ذخيرة لفرق كثيرة فـــى كـــل من محافظتـــى زابوروجيـــه ودنيبروبتروفسك .

كان العديد من هذه اللقاءات . فلما كنت انتزع نفسي لاذهب الى المصنع او الى موقع البناء كنت اتاخر هناك طويلا واتحدث مع الناس لا كمـــرور الكرام ، كما يقال ..

اتذكر اننى فى منجم «فيفالت» ، ظلت وانا مرتد بزة المنجميين ، بالاتفاق وسهوت فامضيت مـــع العمال خمس ساعات او ستا ، ومن الاسهل بعـــد ذلك ان تعرف امزجة الناس وحاجاتهم وخططهم .

وكنت كثير التردد بوجه خاص على مصنـــع بتروفسكى الشهير وهو الاكبر فى المحافظة . وكان يحدث الهم فى ادارة المصنع كانوا ينتظرون ويستقبلون للدومة . كنت لا امضى الى هناك . الى حيث

يدعوننى وحيث تنتظر فاذا الممر مكنوس ، وانمـــا كنت انعطف ، مثلا ، وراء الفرن حيث كان النظام هنا بالذات اقل . كانت تساعدنى خبرة عامـــــل التعدين ، فانا نفسى تقلبت فى شبابى ، فى مصنع كهذا ، كل الدرجـــات تقريبـــا ، من وقاد حتى مهندس .

وساعد ذلك على الاختلاط بالعمال ايضا . اتحدث مع فرقة واخرى والتقى بالمنجميين والصاهريـــن والمدرفلين ، واتغدى معهم فى مطعم المصنـــع وما لم يقولوه فى الوضع الرسمى ، يبوحون بـه هنا بكامل الصراحـــة ، كنت بعد ذلك عادة اختلى بنفسى فى مكتب ما لمدة نصف ساعة او ساعـــة وادون خواطرى ، فاكون عند المساء مستعدا لكـى اطرح فى الاجتماع الحزبى المهمات العامة واربطها بالوضع المحدد فى تلك المؤسسة .

— سنتحدث يارفاق صراحة . لقد عبرت عن كل ما فى ذهنى ، فهاتوا الان ما عندكم بلا كتمان كما يليق بالعمال . كيف نستطيع تحسين العمل ؟ مـا الذى يعيق ؟ واين احتياطياتنا ؟

كان النقد فى هذه الحالات ليس جزافا وانمـــا محددا وبالتالى بناءا .

وربما يوجه القراء سؤالا مشروعا : كان من السهل تربية الاخرين . فكيف كان الكاتب نفسه يتقبـــل النقد ؟ اقول بصدق : كنت اتقبله بصعوبة ، بل ربما لا يمكن ان يكون الامر غير ذلك . فالنقد ليس حلوى كى يحبها المرء . المرء الفارغ الارعن وحده يستطيع سماع اللوم فيضحك ويقذف كل شىء من راسه فورا . ذات مرة ، كان على ان اتطرق خصيصا الى هذا الموضوع فى مؤتمر الكمسمول لمحافظـــة دنيبروبتروفسك (شباط عام ١٩٤٨) قلت انذاك : ادرى انه ليس بيننا انسان يقول لا استطيع تناول الفطور ما لم ينتقدنى احد . ولكن النقد يخلق لدى البلاشفة الحقيقيين الهمة ، وتتولد من الاستيـــاء الجراة والسعى الى العمل بشكل افضل .

قدر على فى الحياة ان استمع الى ملاحظات شتى ومهما كان صعبا احيانا كنت اسعى الى استخلاص اللب المعقول منها واخرج باستنتاجات جدية ، الامر الذى كان فيه ، فى نهاية المطاف ، نفع لى انا نفسى وللقضية . الا ان الناس يتقبلون النقد من فوق عموما بهذا الشكل او ذاك . والاصعب من ذلك بكثير تقبل النقد من تحت . وكان يحدث انك تسمع خطيبا غاضبا فتفطن لنفسك وانت على الفور منه : «ياله من عقرب ، كيف ينبش !» ولكنى استطيع ان اقول بكل صدق انه لم تكن حادثة واحدة غيرت فيهـــا بعد توجيه نقد لى ، موقفى من ذلك الانسان . كان ذلك يمر دوما بدون ان يترك اثرا .

بقيت فى ذاكرتى على وجه خاص حين كنت فى دنيبروبتروفسك الخطب الانتقادية التى القاهـــا نيكولاى رومانوفيتش ميرونوف ، سكرتير لجنـــة الحزب لحى اكتيابرسكى . كان هذا الرجل ذا اصالة شجاعا ، تطوع الى الجبهة وهو فى السنة الخامسة من الجامعة ، وحارب بشكل رائع واصيب بجـروح بليغة . ولكنه بقى فتى مرحا ورياضيا جيدا . كان يعمل عندنا فى حى طلابـــى كبير وكان ترميم قصر الطلبة من بنات افكاره . اقول ان خطب ميرونوف فى مؤتمراتنا كانت تتميز بالشجاعة والحـــدة فى اثارة المسائل . وحين كان يتحدث عن العيوب فى عمل لجنة الحزب للمدينة او للمحافظـــة كان لا يستخدم الدبلوماسية ولا يبحث عـن عبارات ذات تورية بل يذكر اسماء عاملين محددين ومنهـــا اسمى .

فما عساك ان تقول هنا ؟ كنت استمع لهـــذه الخطب ويخيل لى انها ليست منصفة فى كل شىء . فانا نفسى اثرت هذه المسائل منذ اليوم الاول وسعيت الى الشىء نفسه الذى يطالب الخطباء به . الا اننى كنت افكر طالما انهم يتحدثون عن ذلك اذن لـم اتوصل بعد . فالامر اوضح بعين الاخرين . ثم انه كان جليا لدى ان ميرونوف يريد تصحيح القضيـــة وهو يتالم فى سبيل القضية ولتقدم يمليه هذا وخدمه ولهذا فان علاقتى به ظلت جيدة بل لعلى اقول ودية فى دنيبروبتروفسك وفيما بعد فى موسكـــو حين انتقل نيكولاى رومانوفيتش الى العمل فى جهاز اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى وحتى مصرعه الفاجع فى كارثة طيران .

وابين الان (حسب المحضر) ما قيل ردا على النقد مثلا فى المؤتمر الحزبى للمحافظة عام ١٩٤٨ :

«الرفيق بريجنيف : لقد اصغيت بانتبـــاه الى الخطب كلها ولن اخطىء اذا قلت ان النقد سبب ازعاجا معينا لهذا الموظف او ذاك لهذا الرجل او ذاك فى منظمتنا الحزبية . وعلى ان اقول انى اعتبرت هذا النقد فى كثير من الحالات موجها الى لماكنت كذلك . ولكن علينا ان نستخلص استنتاجات من

هذا النقد . وهذا الاستياء عندنا ، عند البلاشفـــة وهذا القلق الداخلى ينبغى ان يثير بدوره المبادرة والحماسة فى العمل والسعى الى ازاله النـــواقص التى انتقدت باسرع ما يمكن . وانا شخصيـــا استخلص لنفسى استنتاجا كهذا» .

لا ينبغى الظن ان وفرة الملاحظات الانتقاديـــة تشهد على سوء سير الاعمال . فالنسبة عكسيـــة بالضبط فكلما كثر النقد الصريح العلنى ســارت الامور سيرا افضـــــل . ولقد انجز كادرو محافظة دنيبروبتروفسك بنجاح الخطة الخمسية الرابعـــة للتعمير وتطوير الاقتصـــــاد الوطنى . وتجاوزت مساحات الحقول المزروعة فى محافظتنا ما كان قبل الحرب . وتفوق مصنعا بتروفسكى ودزيرجينسكى وكثير من المصانع الاخرى على مستوى ماقبل الحرب للانتاج . وتم تعمير مناجم كريفوى روغ ونيكوبول فتكفلت بالخامـــات للتعدين فى جنوب البـــلاد ووسطها . وتم برء الجراح التى خلفتها فى منطقة دنيبر اضرى حرب بين الحروب .

يمكن القول اننا انهينا مرحلة انبعاث الاقتصاد الوطنى مع حلول عام ١٩٥٠ . وانضافت امور هامة جديدة الى قائمة اعمال السكرتير الاول للجنـــة المحافظة والتى لم تتقلص بتاتا . اتذكر ان ممثلى مسرح شيفتشينكو ظلوا جالسين عندى حتى الساعة الثانية ليلا . كانوا يشرحون لماذا يخلو برنامجهم من الادب الكلاسيكى ويشكون من الصعوبـــات الكبيرة فى تامين الديكـــور والنقص فى الملابس فكان على ان استوعب كل الامور وان ابدى لهـــم معونة . ونظمت عندنا فى عام ١٩٤٩ العـــاب رياضية مالية على صعيد البلاد . وكانت المشاغل بشانها كثيرة ايضا ولكنها مشاغل يمكن ان اقول انها غير متعبة بل سارة . اذن كان الوقت قد حان لها وصار الناس يتوقون الى الثقافة والفن والرياضة وهذا هو برهان اخر على الانبعاث . وحين كانت تحصل ساعات فراغ كنت انا نفسى احيانا اتوجـــه الى الملعب ، وكانت تثير اهتمامـا خاصا مباريات فرقتى كرة القدم الغريمتين من وقت بعيد مـــن زابوروجيه ودنيبروبتروفسك–«ميتالورغ» و«ستال» واقول بصدق كنت «اتوجع» لهؤلاء واولئك بالقدر نفسه .

صار يجىء الى مكتبى اكثر فاكثـــر المعماريون ومعهم تصاميمهـــم والرسامون ومعهم رسومهـــم ومخرجو فرق الهواة الفنية وعمداء المعاهد العالية واساتذة الرياضة والعلماء والمربون والاطبـــاء واضيف الى ذلك اننى التقيت فى ذلك الوقت مع القائـــد البارز للشيوعيين التشيكوسلوفاكييـــن كليمونت غوتوالد . وامضينا بضع ساعات فـــى جو رفاقى . وشاطرنى خطط تطوير تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية وتحدثت عن تعميق الصداقة بيـــن شعبينا وتذكرت كيف شاركت فى تحرير براغ ،

وهــــذه اللقاءات مع الاصدقاء مـــن البلدان الاشتراكية والضيوف من البلدان الناميـــة وممثلى الدول الراسمالية تدخل اليوم اوسع فاوسع فـــى ممارسة قادة اللجان الحزبية للمحافظات . بل انهم هم انفسهم صاروا يرحلون الى الخارج اكثر فاكثر الامر الذى يجعل عملهم اهم للحزب وللبلاد . ولقد ادركت من تجربتى الخاصة كم من الاشياء مرهونة بالسكرتير الاول للجنة المحافظة واى منصب فـــى حزبنا معقد وصعب هو ولعل اول ذى مسؤولية ،

* * *

يمكننى وانا القى نظرة على طريقى واتذكـــر السنوات التى وهبت كاملة لمنطقة دنيبر ان اقول اننى قد احسست للمرة الثانية آنذاك اننى جزء من هذه الناحية الساحرة ناحية المؤسسات الجبارة والبطاح المزهرة ، ويسرنى انه قدر لى العمل جنبا الى جنب مع العمال والفلاحين والمهندسيـــن والمزارعين والعلماء على هذه الارض المعطاء .

«مسقط راس المرء هو مكانه الانسب» هـــكذا يقول المثل الروسى . ولعلها قد غدت عتيقة اليوم فمئات الالوف بل الملايين من الوطنيين السوفييت يغادرون بيوتهم استجابة لنداء الحزب للمشاركـــة بنشاط فى تحويل سيماء البلاد ، فى بناء الشيوعية وتغدو لديهم حبيبة مرتين وعزيزة بوجه خاص الارض التى عانوا فيها المصاعب وشاطروها الانتصارات وعملوا عليها وحولوها بايديهم .

وانا ايضا حين تحملنى الظروف الى مسقط راسى وامتع النفس بجمال ضفاف دنيبر اتذكر ايضا ان هذا الطريق عبد لى مهدى وقصر الثقافة هذا بنى فى زمانى وهذه المصانع والمحطات الكهربائيـــة والتاريخ وشارع المدينة هلم وقرى الفلاحين فيها ذرة من جهدى وافكارى وخلجات نفسى وليـــالى السهدة ..



دليبروبتروفسك . شباط (فبراير) عام ١٩٤٦ . قصر الثقافة لدى مصنع بتروفسكي .
أحد الخطباء يلقي كلمة حول ترشيح الرفيق بريجنيف السكرتير الاول للجنة الحزب الشيوعي السوفيتي لمحافظة دليبروبتروفسك نائبا الى مجلس السوفيت الاعلى للاتحاد السوفيتي .

زابوروجيه ، ١٩٤٧
ليونيد بريجنيف (الى اليسار) في مرحلة تعمير مصنع «زابوروجيستال»

زابوروجيه ، ١٩٤٧
ليوليد بريجنيف (في الوسط) في مرحلة تعمير مصنع «زابوروجيستال»

ليونيد بريجنيف يتحدث مع عمال زابوروجيستال

زابوروجيه ، عام ١٩٤٧ . ليونيد بريجنيف في الاجتماع الذي عقد في مصنع «زابوروجيستال» بمناسبة تشغيل الفرن رقم ٣ .

المصير الشاق للكاتب فلاديسلاف تيتوف

بدأ الكاتب فلاديسلاف تيتوف والذي يعيش في مدينة فوروشيلوفغراد في اوكرانيا الكتابة ممسكا على القلم باسنانه حيث لم تكن لديه طريقة اخرى ليحدث الناس عن انتصاره على الموت . وحديثا صدر الكتاب الثالث لفلاديسلاف تيتوف .

لقد تلقى الكاتب اكثر من ٥٠ الف رسالة بعد ان ابصرت النور اول رواية له في عام ١٩٦٧ ومازالت الاصداء تتوارد . وقد اعيد طبع هذا الكتاب اكثر من عشر مرات وبثلاثين لغة . ان الاعداد الضخمة والتي يصدر بها الكتاب تنفد للتو .

ويدوي في عنوان هذه الرواية السيرية «رغم انف الموت» صوتا متحديا القدر .

ويمكن تفسير الصدى غير العادي لدى القراء حسب رايي ، في الاصالة والاخلاص الذين يحل بهما الكاتب احد المواضيع الازلية في الادب الا وهو انتصار العزيمة الانسانية على قوى القدر العمياء .

لقد عاملت الحياة بقساوة هذا الانسان الذي يجلس الان امامي في مقعد يهتز .

وقبل ١٧ عاما القى فلاديسلاف تيتوف الذي كان يبلغ ستة وعشرين عاما من العمر ، والاسطى في المنجم ، القى بنفسه فوق الكابل الذي التهبته النيران من جراء تقصير دارة كهربائية منقذا رفاقه المعدنين من الكارثة وحين ادرك الاسطى انه لايمكن الحيلولة دون نشوب حريق اذا ما فصل التيار الكهربائي ، تشبث بشدة وبكلتا يديه بالمفتاح الكهربائي السكيني ، وسرى في بدن الفتى تيار كهربائي بجهد ستة الاف فولت . وبعد احتمال اثنى عشر عملية جراحية اضطر الاطباء الى بتر كلتا يديه . ان لاعب كرة الطائرة والملاكم السابق يستطيع حاليا غير الضغط على زر المصعد بيده الصناعية وذلك للهبوط الى المنتزه للتجول او للذهاب لمشاهدة مباراة في كرة القدم .

لقد بدأ حديثنا بالتذمر المشترك من ضيق الوقت . ان النظام اليومي الصارم الذي يتبعه تيتوف يعينه الى حدما . فهو يعمل على كتابة مؤلفاته من التاسعة وحتى الواحدة . في مثل هذه الساعات الصباحية كتب ثاني مؤلفاته «عشب بري» وهي رواية عن الحياة الريفية والتي يعرفها الكاتب حق المعرفة : لقد ترعرع في احدى قرى مقاطعة ليبيتسك (روسيا الوسطى) وذلك في الاعوام القاسية التي تلت الحرب ، وبعدما نشرت في الصحف بعض اقاصيصه .

وقد قال الشاعر المشهور ميخائيل اساكوفسكي (مؤلف اغنية «كاتيوشا» المشهورة عالميا) عن قصة «مياه الفيضان» «ان الناس الموصوفين هنا هم احياء بصدق» .

بعد طعام الغداء - نزهة . والبيت الذي يقطن فيه الكاتب يقع في جنينة رائعة . في النصف الثاني من النهار يأخذ الكاتب بقراءة ماجاء به البريد .

وتعتبر العائلة اليوم الذي يمر على تلك الوتيرة من اكثر الايام انتاجا للاسف ، غالبا مايرن جرس التلفون في البيت ، وكل رنة ثالثة هي بمثابة اختبار لتيتوف الذي لايرد ابدا «الخط مشغول» مع ان هذا لا يتفق ونظامه اليومي .

لقد خيل الى بانه يساء استعمال عطف وميل الكاتب للأعمال الاجتماعية ، حيث انه عضو في المجالس الفنية للمسرح والفيلهارمونيا في المدينة وغالبا ما ينعزل من مائدة الاستشارات للكتاب المبتدئين وذلك لاشتراكه في الامسيات الفنية والادبية وفي اعمال مؤسسة الكتاب في اوكرانيا .

نجلس الان في غرفة المكتب حيث حجزت الرفوف الكبيرة كل الحائط وتعم الشقة بالالفة والراحة المنزلية .

هناك مشهد في رواية فلاديسلاف تيتوف الاولى حيث تهتف زوجة بطل الرواية «سيريوجا ، لدينا اياد» وتمد يديها نحوه . وانتابني شعور بوجود مئات من الايادي الخفية التي تمتز بغرفة المكتب كثيرا . صنع الالة الكاتبة الكومسوموليون في احدى المصانع . ان الكاتب يطبع مؤلفاته بالضغط على الازرار بواسطة عصا صغيرة مثبتة بين اسنانه . واخذ العمل يجري اسرع من قبل .

ان الكومسومولين من مدينة ايوم في الاورال والتي تبعد ١٧٠٠ كيلومتر عن فوروشيلوفغراد ابتاعوا لتيتوف جهاز تلفون مع مقل الكتروني والان يستطيع الكاتب فلاديسلاف التحدث بالهاتف دون مساعدة الغير ، وان يطلب النمرة المطلوبة ، ويتصل به الان بالهاتف شبان من المصنع وكتاب وممثلون واطباء يخابرونه بالهاتف .

لقد اختير تيتوف عضوا فخريا في ورشة الشبيبة التي يراسها المعدن المشهور في الدونباس ، الكساندر سيلكين ، ويعتز الكاتب بحياة اوبيتة ، واما الرواية التي يؤلفها ا... عاما فهي ... لحياة المعدنين .

ان الكاتب بحاجة الى انطباعات جديدة والى التعرف على مسائل ملحة .

وتجذب مناقشات فلاديسلاف تيتوف الجماهيرية عددا كبيرا من المستمعين .

واينما حل فلاديسلاف لالقاء كلمة اكان هذا في مصنع القاطرات في فوروشيلوفغراد ، او في اماكن مختلفة من البلاد فانه يجد اذانا صاغية .

وحينما تعرفت على الكاتب عن كثب ادركت ان سبب الاهتمام المتزايد به ليس قطعا الرغبة في الحصول على توقيع شخصي (اوتوغراف) من انسان ذي مصير غير عادي ، فالواقع ان فلاديسلاف تيتوف-حسب رايي ، هو شخصية جذابة قبل كل شيء ، انه يمتاز بشيء ما يجعل الناس يتوجهون اليه برسائل كهذه :

«السلام عليك يا ولدي . لقد حصل وان بتر ساق ابني فاليروتشكا . وهو الان في حالة ياس ، رجاء ان ترشده . انت وحدك تستطيع انقاذه» . «سلاما ! من القراءة يمكن ان تكون مصائرنا متشابهة كثيرا ما حاول اناس اثناء عزمي عن الالتحاق في مدرسة مهنية متوسطة للاقتصاد المالي ، ولكنني صمدت ، انا الان اعمل مع كوني السانة مقعدة ولاتفارقني ابدا الرغبة في العيش ، واسلني ، ايرينا» .

«لاتدع استحالة عملك في المنجم تقلق راحتك ان الانتصار على الذات من اشق الامور ، كن منفيدا ياصاحب الحظ بعد طول عناء» . يكاترينا بيتمكونا ، عاملة السوفخوز منطقة ستافروبول» .

حين وردت الى فلاديسلاف الاصداء الاولى عن روايته قال لجيرانه النبأ بسذاجة ممزوجة بالاستعجاب ، وبعد ذلك توالت الردود الاصداء اكداسا . ان جميع الرسائل التي وردت تحفظ في بيت تيتوف .

ويتلقى كل الناس الذي ينتظرون منه ردودا اجابات على رسائلهم . في آخر رواية صدرت لتيتوف وبعنوان «ان تعيش الحياة» وردت رسالة واقعية فحواها :

«نحن مساجين القصيلة الخامسة . نعلمك ، بان كتابك اثار فينا شعورا بالخزي المؤلم لجرائمنا امام الشعب» .

ان فلاديسلاف تيتوف يعتبر هذه الحقيقة كحالة خاصة بالرغم من انها لاتخلو من بعض الرمزية ويغيب عن ذهن الكاتب بان عمله الخلاق قدير بان يبدل او يغير من اعتقاد الانسان في وقت قصير .

والناس في مؤلفات فلاديسلاف تيتوف اقوياء .

يقول الكاتب «اتعاطف مع انسان العمل ، عدوي هو ذاك الذي يسعى للعيش على حساب غيره» . ان الناس الذين اشابههم في المصير-يقول فلاديسلاف-ليسوا فقط بحاجة الى العلاج في المصحات ورواتب تقاعدية مدى الحياة-ان الدولة تؤمن لهم هذا-وانما للزمهم المعاشرة الانسانية والاشتراك في العمل حسب استطاعتهم .

سيرغي خارتشنكو

اطلـــس المحيطـــات الجديـــد

يستمر العمل في الاتحاد السوفيتي لتاليف اطلس المحيطات . وهو عمل علمي كبير في دراسة محيطات العالم . وقد صدر الجزء الاول من هذا الاطلس (المحيط الهادي) في عام ١٩٧٤ . وحظي باستحسان الاختصاصيين في بلادنا وخارجها .

وصدر الان الجزء الثاني وهو (المحيط الاطلسي والمحيط الهندي) وهو يشابه الجزء الاول من حيث المحتوى والشكل ، ويشمل الجزآن ٩٦ بالمئة من مساحة الارض المغطاة بالمياه ، وهما بمنزلة موسوعة علمية عن الجو المحيط والمساحة المغطاة بالمياه في كوكبنا .

ان اصدار اطلس المحيطات مساهمة هامة يقوم بها الاتحاد السوفيتي ضمن الجهود العالمية الرامية الى دراسة المحيط الذي يعتبر اكبر مصدر للموارد الغذائية والمواد الاولية الطبيعية .

وبفضل الابحاث الكثيرة في دراسة المحيط التي اتسعت بعد الحرب العالمية الثانية تم الحصول على مواد علمية ثمينة جدا حول تركيب قاع المحيط ومائه وخصائصه الهامة الكيميائية والفيزياوية . وازدادت بصورة ملموسة معلوماتنا عن عالم الحيوان في المحيط وظروف معيشتها . وقد انعكس ذلك كله في اطلس المحيطات . وتشهد الارقام على حجم الاحصائيات التي استعين بها : يحتوي الاطلس على اكثر من الف موضوع علمي تستند على ٧,٥ مليون ملاحظة . وان تهيئة هذه الكمية من المعلومات تطلبت طاقات علمية ضخمة شاركت فيها معاهد اكاديمية العلوم السوفيتية ومؤسسات البحث العلمي التابعة للاسطول البحري السوفيتي ، ودوائر الخدمات المائية في الاتحاد السوفيتي ، ووزارة الثروة السمكية في الاتحاد السوفيتي ومؤسسات اخرى وساهم علماء جامعتي موسكو ولينينغراد مساهمة فعالة في تاليف الاطلس .

واشرفت على تاليف الاطلس هيئة تحرير تراسها اميرال الاتحاد السوفيتي سيرغي غورشكوف القائد العام للاسطول البحري الحربي وضمت هيئة التحرير علماء وبحارة سوفييت بارزين .

وتعكس خرائط الجزء الثاني من اطلس المحيطات التاريخ الطويل للابحاث الاوقيانوغرافية في المحيط الاطلسي والمحيط الهندي ابتداءا من عصر الاكتشافات الجغرافية ، وتبين هذه الخرائط بصورة جلية استمرار تطور التعاون الدولي في دراسة المحيط والدور الرائد للعلم السوفيتي في معرفة طبيعة المحيطات . ويحتوي الاطلس على اخر المنجزات العلمية في حقل دراسة تركيب قاع المحيط وتركيبه الطبوي وتغيراته وترسباته وسواحله ووضعه الزلزالي والبركاني . وبفضل هذا كله اصبح من الممكن تكوين صورة حديثة للوضع الجيولوجي لهذا الجزء من كوكبنا في الحاضر والماضي . ويبين الاطلس بشكل مفصل مناخ المحيط الاطلسي والمحيط الهندي وظواهره كما تضمن شرحا مفصلا لخصائص المياه الفيزياوية ودوراتها ومكوناتها الكيمياوية . ولقد بينت الابحاث التي شملت الجو الى ارتفاع ١٦-١٨ كيلومترا ، والاجواء المائية الى عمق بضعة الاف متر جملة من القوانين والظواهر التي تحدد الظروف الطبيعية والمناخية على الارض بشكل كبير .

ولا نبالغ اذا قلنا ان اطلس المحيطات هو الجاز للملاحين البحرية السوفيتية .

فيكتور فاليف
رئيس تحرير اطلس المحيطات



التلفزيون في خدمة صيادي الاسماك

اعتمد صيادوا الاسماك منذ القدم على معرفة عادات الاسماك وحسها الذاتي . اما الآن فقد اصبح تحت تصرفهم جهاز «الريبوفيزور» بشاشته تحت سطح الماء .

يعمل الجهاز دونما حاجة الى تغطيس معدات الاضاءة او جهاز التقاط الصور ، ويقوم مبدا عمله على تسجيل المجالات البيوكهربائية ، الناتجة عن الاشعاعات الصادرة عن الاسماك . وقد توصل العلماء الى ان مجالات كهذه يكونها ٣٠٠ نوع من الاسماك على اقل تقدير . هذا ، وباستطاعة حساسية الاجهزة الحديثة تسجيل القدرة الكامنة البيولوجية لبعض الاسماك على بعد مئة متر .



تطفل وشجاعة

لؤلؤة عريقة في القدم

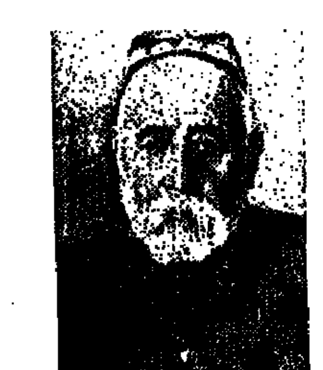
من المعروف ان اللؤلؤ لا يبقى على حاله الى الابد . فهو يفقد لمعانه ولونه الجميل بعد مرور ٣٠٠-٤٠٠ عام . لكن هناك حالات استثنائية لقد اكتشف العالم كوليتشيكوف من ليننغراد لآلئ من النوع ، الذي ينمو في المياه العذبة وجدت متحجرة في مغارات ، عثرت عليها البعثة البيولوجية السوفيتية-المنغولية في صحراء غوبي ويبلغ متوسط حجم اللؤلؤة ٢,٥ ملمتر ، لونها اصفر غامق تشوبه مسحة وردية . ومن البديهي ان يكون اللؤلؤ قد فقد لمعانه الاصلي ، ولكن بالرغم من عمره الطويل البالغ مئة مليون عام كان يشبه النوع الحالي الى درجة كبيرة .

المياه العذبة تحت الارض

ان القسم الاكبر من المياه العذبة في كوكبنا يوجد تحت سطح الارض ، ويعتمد الاتحاد السوفيتي اعتمادا رئيسيا على المياه الجوفية لتلبية حاجات الاقتصاد وتزويد السكان بماء الشرب . ان مدن مينسك وكييف وتومسك وفيتيبسك تزود بصورة شبه تامة بهذه المياه بالذات . هذه المياه انظف بكثير من مياه الانهار والبحيرات . ولمنع نفاذ المياه الجوفية يجري «حقن» الماء في بعض المناطق حيث تمر بعملية تنظيف طبيعية . وتغتني بالاملاح المفيدة ، وتعود بعدها الى الناس .

فيروس قتال للبعوض

وجد العلماء السوفييت وسيلة فعالة لمكافحة البعوض اذ فقد تم العثور على جرثومة لم تكن معروفة من قبل ، بامكانها ، في الظروف الطبيعية القتل نهائيا بيرقانات البعوض . كما تسمى اكتشافه فيروس ، لا يضر بالانسان مطلقا ، لكنه قتال جدا ضد البعوض . هذا العدو «البيولوجي» للبعوض يمكن رشه بواسطة الطائرات .



صدر الدين عيني

(مقتطفات من رواية «بخارى»)

طرق والدي احد الابواب بالقرع . على عادة اهل المدرسة فتح له الباب . دخلنا حجرة لها قبة عالية جدا ، وكان لها منفذ واحد هو الباب الذي دخلنا منه . وكانت شمعة مشتعلة تنير على منضدة واطئة جانبا من الحجرة . اما باقي فضاء الغرفة فقد كان يغرق في شبه ظلام مخيف . وكانت القبة تضيع في عتمة دامسة ، حيث يخال للمرء ان ثمة قاعا اسود بلا قرار ينداح فوقه . وبدا لي ان هذه الغرفة جزء من عالم توتا-باشا السحري الغامض ، الذي دخلته بنفس فجأة فاصبح بالامكان ان المس الاشياء بيدي .

عندما دخلنا الحجرة كان اخي يهيئ العشاء . اما سعيد اكبر الذي كانوا يطلقون عليه في قريتنا كنية «الخوجا الجبار» فقد كان يجلس قرب المجمرة .

القينا عليهما السلام وتبادلنا الاسئلة المعتادة ، ثم اجلسانا قرب المنضدة المنصوبة فوق المجمرة . وكانوا يطلقون على تلك المنضدة تسمية «الصندل» ، حيث تحفر تحتها في ارضية الغرفة حجرية كانت ام ترابية ، حفرة تملأ بالجمر . اما المنضدة فهي واسعة واطئة ، تفرش السجاجيد والابسطة حولها ، ثم توضع بطانية عليها ، فكان لا يمكن الاستغناء عن الصندل في غرفنا في الليالي الشتائية الباردة حيث لم يكن فيها من قبل اي نوع آخر من التدفئة . وكانوا يضعون على المنضدة بطانية كبيرة وسميكة فيجلس الناس حولها ويمدون اقدامهم تحت البطانية طلبا للدفء . وفي الليل كانوا يغطون انفسهم بهذه البطانية وينامون بالقرب من الصندل فينعمون بدفء لذيذ من الجمر المتوقد حتى الصباح .

وهكذا جلسنا نحن حول هذا الصندل .

جلب لنا اخي الرز باللحمة ، وكان رزا دسما مطبوخا بلحم الدجاج . وقد سال والدي اثناء الاكل :

— من اين حصلتم على الدجاج ؟

صمت اخي . الا ان «الخوجا الجبار» تحدث بالتفصيل عن كل شيء .

اعتاد الامير عبد الاحد طيلة حكمه خلال هذه السنوات الثلاث على التوقف هنا وهناك في المدينة بعد خروجه مساء من قصره في الارك . فكانوا يقيمون الفرح في الحي الذي ينزل فيه وكان على اقرب مدرسة ان تهيئ للامير عشاءه . كان احد خدم مطبخ الامير ، تنفيذا لامره ، يجيء الى المدرسة معلنا انه يتعين على جميع المقيمين فيها الذين يحضرون عشاءهم ان يحملوا هذا العشاء الى الامير . فكان تلاميذ المدرسة يصبون الطعام في القدور ، ليحملها الخدم اليه .

وفي البيت الذي نزل فيه الامير يختبر رئيس الطباخين المآكل فيقبل بعضها بينما يرفض غير اللذيذة منها ، ثم يضع المآكل المختارة على الصواني الاميرية . ويعيد القدور بعد ذلك لاصحابها بعد ان يملأها بالمآكل الاميرية ، مانحا اياهم عشرة تينغات .

واذ عرف تلاميذ المدارس بهذه العادة راحوا يحضرون الطعام بكل اجتهاد عندما كان الامير ينزل في احد البيوت املين بارضائه .

وفي هذه الليلة توقف الامير بالقرب من مدرسة مير عرب فجرى طهي الرز باللحم في جميع حجرات المدرسة ، رغم ان بعض التلاميذ لم يكن في مقدورهم تناول الرز باللحمة مرة واحدة طيلة شتاء كامل . ولكن هؤلاء الفقراء كانوا يستدينون المال ممن يملكه او يشترون اللحم بالدين من القصابين ، وكذلك الرز من البقالين ، كي لا يتخلفوا عن غيرهم ، واملا في الحصول على ثناء طباخ الامير .

واضاف سعيد اكبر بفخر واعتزاز :

— لقد اختير طعامنا من بين مئة وثلاثة واربعين قدرا ليقدم الى الامير ! اما هذا الرز بلحم الدجاج فقد طهي في مطبخ الامير .

كان والدي في بدء الحديث ياكل ويستمع لسعيد اكبر بهدوء ، ولكنه ما ان فهم حقيقة الطبق الذي ياكل منه حتى ظهرت علائم الغضب على وجهه .

تصورت انه سيمسك بالعصا التي يستخدمها لسوق الحمار ويضرب بها اخي ، ولكنه صمت ، وتنحى عن الطبق جانبا .

رفعوا سفرة الطعام منذ فترة طويلة ولكنه لم يخلد الى النوم ، ولم يتحدث بكلمة واحدة ، لا مع اخي ولا مع سعيد اكبر ، بل لم ينظر نحوهما . ظل يجلس جامدا حسبتها زمنا طويلا ، مغلقا عينيه ، مطاطئا راسه ، متنهدا بعمق بين آونة واخرى ، فيرفع راسه لحظة ثم يسقطه على صدره من جديد .

لم اعرف فيما اذا كان قد نام ليلته تلك ام لا . فلقد غفوت بسرعة وغرقت في نومي . ولم اصح الا في الفجر فرايت اخي يشعل الشمعة . ووالدي يجلس مرتديا ملابسه ، مستعدا للسفر . وعندما اشرقت الشمس نهض والدي من مكانه قائلا لي :

— هيا يا بني ، سارجعك الى القرية . لن تتعلم من لاسحي صحون الامير هؤلاء التقاليد النبيلة لمدارسنا العريقة .

فتوسلت به والدموع تملأ عيني :

— دعني هنا لارى المدينة ، وارى عمي ملا ديكان .

لم يوافق والدي على رجائي الا على مضض . وقد قال لي متنكرا صارما :

— احذر ان تتعلم منهم هذا ! واذا نسيت ما اقوله لك لن انظر في وجهك طيلة العمر .

اراد اخي ان يحمل لوالدي كيسة الا ان والدي اخذه منه وخرج من الحجرة .

خرجنا لنودعه الى الباحة حيث كان حمارنا يقف ، ولكن والدي لم يقل هنالك ايضا شيئا ما . دفع للحراس ما عليه بصمت ، ومضى عنا .



الارض

تعرفت بحياة تلاميذ المدارس رغم قصر الفترة التي قضيتها مع اخي . اما الآن فكانت قضية ارسالي للدراسة في بخارى تشغلنا جميعا . كان من الصعب على والدي ان يقوم باعالة ابنين من اولاده يدرسان في بخارى . فاقترح علي ان اشتغل لاكسب بنفسي ما يعينني على الدراسة والعيش في بخارى .

كانت هنالك بعض الاراضي الحرة مقابل بيتنا ، زرعها والدي باشجار مشمش كانت تزهر ثلاث مرات في العام ، ولهذا كان من الصعب استخدام الثيران في العمل على هذه الاراضي فقد كان يمكن ان تتلف هذه الاشجار .

اقترح والدي علي ان احرث تلك الارض وازرعها بشيء ما لاحصل من غلتها على ما يعينني في دراستي .

اشترى لي والدي معزقة غير كبيرة ، وبدات عملي . فقلبت الارض ثلاث مرات لاكشف التربة الرخوة اللينة على عمق ثلاث ضربات من المعزقة .

بعد هذا فكرت بسلف الارض ، وقررت ان استخدم الباب القديم لاجل ذلك . ولكن مسلفتي كانت بلا اسنان . فاضطررت الى استخدام المعزقة لجعل الارض رخوة اولا . بعد هذا اصبح الباب صالحا للعمل .

وافق حميد خوجا واكرام خوجا على سحب المسلفة بدل الثور اما انا فقد جلست لاثقل عليها . ولكنهما ما ان سحباها مرة او مرتين حتى تركاها .

ولكنني عثرت على مخرج لهذا الوضع ايضا .

شددت حميري امام الباب ، وما ان سار مرتين حتى عرف شغلته ، وسرعان ما راح يسحب المسلفة كثورة مجرب ، يمشي ويقف حسب الاوامر التي اصدرها له .

بعد ان انتهيت من سلف الارض ، اغنيتها بالسماد الحيواني وبالتربة السوداء ، ثم قلبتها ثانية ، فاصبحت جاهزة للبذار وسالت والدي :

— بماذا ازرعها ؟

— الناس يقولون «من لا عمل له يزرع الارض بالقرع» وانا اقول : ان تزرع الارض بالقرع فذلك خير بداية . فانت تعمل في الفلاحة لاول مرة ، وهكذا فالقرع يناسبك تماما . وهو لا يتطلب عناية كبيرة .

بعد ان سفعت الشمس الارض باشعتها الدافئة ، ونقعت البذور جيدا بالماء اعطاها والدي لي فقمت بزرعها .

تفتحت البذور بشكل طيب . وخلال اسبوعين طمرت قرعي ثلاث مرات . ثم سقيت الارض بعد ذلك . واذ انتهيت من كل هذا اشار والدي لي الى مكان لشق ترعة فيه لغرض السقي .

كانوا في بخارى يتبعون طريقة للسقي تتلخص بفتح الماء على الارض المزروعة في بداية البذار ، وبعد ان تتفتح البذور وينمو الزرع كانوا يشقون له بعد ذلك الترع لتنظيم السقي وقد اتبعت هذه الطريقة بدوري على قطعتي هذه .

عمل والدي هذا العام كثيرا في ارضه . وقد زرع ربع الديسياتين منها بالقطن فيما زرع الربع الآخر بالجوكارة * ولكن القطن قد جلب فعلنا جميع آمالنا على الجوكارة .

فتح والدي الماء على ارضه في الخريف الماضي ثم قام بقلبها . وفي الشتاء ، في شهر كاووس ** وما بعده باربعين يوما ، ترك عليها الماء . وفي الربيع قلبها مرة اخرى ، وسمدها كان عندنا حائط طوف قديم مهدم وظل تحت الشمس سنوات عديدة . نقله والدي الى ارضه حيث كان يزرع الجوكارة فقام بتفتيته وتوزيعه على الارض . ساعدته في هذه الشغلة كثيرا كان يملأ السلال بالتربة . ويحملها على جانبي الحمار فاقوم انا بسوقه الى الحقل وتفريغ السلال هناك .

استاجر والدي ثورا فحرث الارض مرتين ، ثم سلفها وبذرها وبعد البذار سلف الارض ثانية .

غير ان طلوع الزرع لم يكن كثيفا ، كانت سيقان النبتات متباعدة عن بعض ، بخطوة واحدة تقريبا . فنصح الجيران والدي ان يعيد البذار ثانية .وقالوا له :

— والا ستذهب هدرا مساحات كثيرة من الارض .

ولكن والدي لم يوافقهم :

— تذكروا مثل الكهول : «ازرع القطن بحيث تمر معزقتك خلاله وازرع الجوكارة بحيث يمر بعير خلالها» .

عندما كبرت النبتات الصغيرة طمرها والدي ثلاث مرات ، وعندما اخذت الشمس تلهبها فتح عليها الماء .

وكان كل ساق نبتة يعطي عشرة تفرعات او اكثر بعد السقي ، ولكن والدي كان يبقي منها اربعة فقط . اما الاخريات فكان يقتطعها .

كان والدي يامل ان يحصل هذا العام من ارضه على ثلاثين منا من الجوكارة او ما يعادل مئتين واربعين بودا .

الوباء

زحف وباء الطاعون على مدينة بخارى في بداية صيف عام ١٣٠٦ هجرية (في تموز ١٨٨٩ ميلادية) . وكان عدد الضحايا يرتفع الى ارقام رهيبة .

عاد اخي من المدينة الى القرية وقد اصابه المرض . ومرض خال ملا ديكان به فمات . فنقل جثمانه الى بيته في قرية محلة بالا .

شعر والدي بتوعك قبلي في بيتنا مع اخوتي ، فيما اخذتني امي الى جدي لتوديع المرحوم خالي .

لا ادري فيما اذا كانت امي قد اصيبت بالمرض هنالك في بيت جدي ام انها جاءت اليه تحمله من بيتنا ، ولكن فقدان اخيها كان قد اثقل عليها كثيرا فوقعت طريحة الفراش اثر وصولها بيت جدي .

اركبت امي على الحمار وعدت بها بصعوبة بالغة الى بيتنا ، فوجدت ابي واخوتي الصغار قد ادركهم المرض ، وفي غرفة صغيرة واحدة كان ثمة خمسة مرضى منطرحين في صف واحد جنبا الى جنب .

كنت انتقل من واحد الى آخر اسقيهم الماء والحليب ، واهش الذباب عنهم ، واسندهم اذا حاولوا الوقوف .

وبعد اسبوع واحد اضحت بيوت القرية جميعا اشبه ببيتنا . ولم يعد هنالك اناس اصحاء لا في قريتنا وحسب بل وفي المنطقة كلها . وبدا الموت يحصد ارواح الناس .

وفي ساكتاره حيث كانت تعيش حوالي الاثنتي عشرة عائلة كانوا يدفنون كل يوم واحدا او اثنين من ابنائها .

لم اكن اعرف في ذلك الوقت حقيقة المرض الذي ابتليت به عائلتي . ولم يكن ثمة اطباء في القرية ولا حكيم يعرف ما يجب عمله ...

عانى والدي في عائلتنا اكثر الجميع من مرضه . ظل طيلة الوقت تقريبا طريح الفراش ، فاقدا وعيه ، لا يتكلم الا طالبا شيئا ليشرب .

وفي احد الايام فتح عينيه وسالني :

— هل سقيت الجوكارة مرة ثانية ؟

— لا .

— كم يوم مر على السقي الاول ؟

— عشرة .

— حسنا ، ما زال الوقت مبكرا للسقي .

قال هذا ثم اغلق عينيه وغاب في النسيان .

وبعد ذلك ظل يسالني نفس السؤال عدة مرات في اليوم الواحد .

وعندما مر عشرون يوما على السقي الاول اجبت على سؤاله المتكرر المعتاد :

— عشرون .

— يجب ان تفتح الماء الآن بالتاكيد على الجوكارة . حاول ان تفعل ذلك ان استطعت . الزرع بدون الماء يموت .

اخذت المعزقة وذهبت الى الحقل .

دهشت لذكاء كلبنا . كان يلحقني من قبل اينما ذهبت ولكني ما ان بدات اهتم بمرضاي حتى راح يرابط عند باب بيتنا لا يبرحه . وعندما توجهت الى الحقل هذا اليوم نظر بتحير نحو المرضى ثم وضع راسه على العتبة كانما قرر ان ينوب عني في هذا المكان .

كان الماء كثيرا ذلك العام . اضافة الى ان الكثيرين من الفلاحين كانوا قد مرضوا فما عادوا يهتمون للسقي .

فتحت القناة الكبيرة بسهولة ، واطلقت الماء على حقلنا . ثم عدت الى مرضاي .

بعد ساعة فتح والدي عينيه ، وسال :

— هل فتحت الماء ؟

— نعم .

قالني على مغلقا عينيه :

رغم ان العم اسطه خوجا كان مريضا ، حاله حال عائلته جميعا ، فقد جاء الى بيتنا يزور والدي ويخفف عني :

— سيشفى والدك بالتاكيد . عليه ان يعرق فقط اربع مرات .

وفي اليوم الاربعين من مرضه استرد ابي وعيه بعد ان عرق . كان يضطجع هادئا مالكا زمام نفسه .

وفي اليوم السابع لذلك مر اسطه خوجا علينا ، فنظر الى المريض وقال :

— اذا ساء حالة تعال الي مباشرة .

فسالته والدموع في عيني .

— كيف اعرف اذا ساء حاله او تحسن ؟

— لا تبك . كن رجلا جديرا بابيك . حالته سيئة جدا . ولكنه يضطجع هادئا كي لا يفزعك قبل الاوان . انتبه ، ولا تقلقه ! وعندما تجده يتنفس بصعوبة ويشخر فان ذلك يعني ان حالته سيئة جدا ، نادني آنئذ . اما الآن فعلي ان اذهب لان عمتك مريضة جدا ايضا .

جاء الليل . فاشعلت الفانوس . لم يكن في البيت غيري يقظا فقد نام الجميع . كان الليل قد هبط لتوه عندما بدا والدي يتنفس بصعوبة ويشخر .

فذهبت طلبا للعم اسطه خوجا .

بلل قطعة من القطن في الماء ثم اعتصرها بين شفتي والدي ، فتح والدي عينيه . نظر اولا نحوي ، ثم نحو العم ، قائلا :

— اعطني ماء بعد ، بالملعقة .

صب العم له ملعقتي ماء في فمه ، فقال والدي :

— كفى !

ثم التفت نحوي موصيا :

— ادرس ، مهما عانيت من مصاعب ادرس !

واغلق عينيه .

بعد بضعة دقائق بدا شخيره يقطع انفاسه . فاخذ العم اسطه خوجا قطعة القطن فبللها بالماء واعتصرها ثانية بين شفتيه .

حاول والدي ان يرفع راسه وهو ينظر الي ، الا ان راسه سقط ثانية على الوسادة ، وارتعشت يداه ، ثم لفظ انفاسه الاخيرة .

اغلق العم عيني المرحوم ، وقال لي :

— ساذهب [illegible] عن مرضه ، ثم اعود [illegible] هل تخشى البقاء هنا ؟

— وهل يمكن ان [illegible] ؟

فاجابني العم [illegible]

— [illegible]

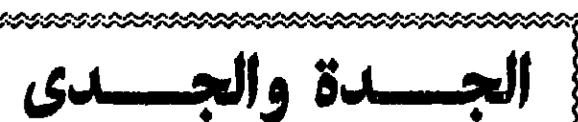
كان والدي [illegible] الشمس .

عاد العم اسطه خوجا بعد برهة من الزمن ، وعرفت امي وكذلك اخي الكبير بان ابي قد مات . اما اخوتي الصغار فقد عرفوا بالامر في النهار وحسب .

** الشهر التاسع حسب التقويم الشمسي الايراني ، ويوافق تشرين اول-تشرين ثاني حسب التقويم الاوربي . الناشر .

ركن الاطفال

بيتروشكا



الجدة والجدي

(من حكايات احد شعوب داغستان)

كان ياما كان ، عاشت في قديم الزمان جدة ، وكان عندها جدي أجعد . في ذات مرة ارسلت الجدة الجدي الى المرج ليرعى . وبعد مرور فترة قصيرة نادته قائلة :

— ايها الجدي الاجعد ؟ تعال الى البيت ؟ تعال وكل العصيدة .

— لا اريد ، يا جدة ، ان آكل العصيدة ، أريد ان آكل العشب الطري الاخضر ؟

— اذا لم تات سانادي الذئب كي ينهشك . ساقول له ان الجدي لا ياتي الى البيت فاذهب والتهمه ؟

— لن اذهب يا جدة ، لن اذهب ؟

— اذا لم تذهب سانادي الكلب ليضربك . ايها الكلب الطيب ؟ ان الجدي لا ياتي الى البيت ، والذئب لا يذهب كي يلتهمه ، فاذهب واضرب الذئب .

— لن اذهب يا جدة ، لن اذهب .

— سانادي الراعي كي يضربك . ايها الراعي ؟ ان الجدي لا ياتي الى البيت والذئب لا يذهب كي يلتهمه والكلب لا يذهب كي يضرب الذئب ، فاذهب واضرب الكلب .

— لن اذهب ، يا جدة لن اذهب . اني احب هذا الكلب .

— سانادي الفارة كي تقرض حذاءك . ايتها الفارة يا ذات الاسنان الحادة ؟ ان الجدي لا ياتي الى البيت والذئب لا يذهب ليلتهم الجدي والكلب لا يذهب كي يضرب الذئب ، والراعي لا يذهب لكي يضرب الكلب ، فاذهبي واقرضي حذاءه .

— لن اذهب يا جدة ، لن اذهب . اني اهاب عصا الراعي .

— سانادي الهر كي ياكلك يا هري الشجاع ؟ ان الجدي لا ياتي الى البيت والذئب لا يذهب كي يلتهم الجدي والكلب لا يذهب كي يضرب الذئب ، والراعي لا يذهب كي يضرب الكلب ، والفارة لا تذهب كي تقرض حذاء الراعي فامسك الفارة !

— ساكل القشطة وآتي ؟

اندفع القط نحو الفارة والفارة نحو الحذاء والراعي نحو الكلب والكلب نحو الذئب والذئب نحو الجدي ، واندفع الجدي الى الجدة كي ياكل العصيدة .

طيارة الورق المتبججة

ف . بيرمستوف

ذات مرة صنع فيتيا طيارة ورق . كان اليوم غائما ، لكن فيتيا رسم على الطيارة صورة الشمس .

اطلق فيتيا طرف الخيط ... وبدات الطيارة تحلق الى اعلى فاعلى ، تجر وراءها ذيلها الطويل وتغني :

انا اطير ... في الاعالي ؟

انا اطير ... للاعالي ؟

سالت الطيور :

— من انت ؟

اجابت الطيارة :

— الا ترون؟ انا—الشمس؟

صاحت الطيور :

— ليس هذا صحيحا؟ ليس صحيحا ؟ ان الشمس تختفي الآن وراء الغيوم .

اجابت الطيارة غاضبة :

— وراء اي غيوم ؟ الشمس هي انا ؟ لم يكن هناك من شمس اخرى ، ولن تكون ولا حاجة بها ؟ هل فهمتم ؟

وكررت الطيور :

— ليس هذا صحيحا ؟ ليس هذا صحيحا ؟

صاحت الطيارة غاضبة وهي تلوح بذيلها الطويل :

— هل تفقهون ما تقولون؟ صه يا قصيرة الذيل !

تفرقت الطيور مذعورة وفجأة اطلت الشمس بوجهها من المشرق .

صاحت الطيور :

— هيا ننقر المتبجح—هيا ننتف ذيل الخداع . واندفعت نحو الطيارة .

وشرع فيتيا يلم الخيط على عجل ، فسقطت الطيارة على العشب .

سال فيتيا :

— ماذا فعلت هناك ؟

اجابت الطيارة باستياء :

— ومـاذا حدث ؟ حتى المزاح ممنوع ؟

قال فيتيا :

امزحي كما يحلو لك ، ولكن لماذا الكذب ، والتبجح ؟ عليك ، الآن ، بان تصححي خطاك .

كشرت الطيارة :

— ابدا ، حتى ولا بالبال . الطيور هي التي يجب ان تصحح خطاها .

صاح فيتيا ممتعضا :

— هكذا تريدين ؟ حسنا [illegible] الآن فصاعدا لن يكون بوسعك ان تخدعي احدا ، ولا ان تخيفي احدا ، موتي بغيظك ! تناول فيتيا ريشة ودهانا ، وحول صورة الشمس الى وجه يبعث على الضحك .

ومن جديد حلقت الطيارة في الجو ، وهي تغني :

انا اطير ... مهللة .

وما اريد ... سافعله .

وهكذا ، كانت تشاكس وتكذب ، وتتبجح . لكن الجميع كانوا يرون وجهها الضاحك ولذا كانوا يظنون انها تمزح .

صاحت الطيارة :

— انا الشمس . هل تسمعون ؟ انا الشمس !

قهقهت الطيور :

— قه-قه-قه— . يا لك من مهرج . يا لك من مبالغة [illegible] للضحك .

صاحت الطيارة غاضبة [illegible]

[illegible]

لكن الطيور ازدادت ضحكا وشرعت تحوم حول الطيارة وتنتف ذيلها بسخرية .

متاحف موسكو

لعله لا يوجد سائح لا يتوق الى زيارة الكريملن ذلك الاثر المعماري الروسي الفريد الذي كان قد تشكل خلال قرون عديدة . ان مشاهدة آثار الكريملن العديدة ومعروضات متاحفه تفتح لنا نافذة على التاريخ العريق . نطلع على الفن الاصيل وعلى نتاج الفنانين المهرة . والى جانب الكنائس الثلاث المشهورة «الرقود» و«البشارة» و«رؤساء الملائكة» التي شيدت في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تجذب انتباه الزوار قاعة الاسلحة وهي متحف يضم آثار الفن التطبيقي الشعبي . وهذه الكنوز الثمينة هي من خزينة امراء موسكو الكبار والقياصرة الروس ، وقد صنعها الحرفيون الروس في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وبعضها هدايا من سفراء وتجار بلدان الشرق والغرب . وتعرض هنا مجموعة نادرة من الخوذ والدروع الحربية واسلحة القياصرة ، وهي من صنع روسي واجنبي ومصنوعات من الفضة غاية في الروعة ، واقمشة فاخرة وتيجان قيصرية وعربات . لقد انتقلت الحكومة السوفييتية الفتية برئاسة لينين ، من بيتروغراد الى موسكو في آذار (مارس) عام ١٩١٨ بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، وصار الكريملن مقرها الرسمي : واصبح مكتب لينين وشقته في الطابق الثالث لبناية مجلس الشيوخ سابقا . وهنا الآن متحف ، وكل شيء محفوظ كما كان في اثناء حياته .

ولقد اعيد ترتيب نموذج لمكتب لينين بالكريملن في متحف لينين المركزي الذي يحوي ٣٤ قاعة تعرض فيها مخطوطاته ، والطبعات الاولى لمؤلفاته ورسائله ، ولوازمه الشخصية ، ووثائق وصور وكتبه الصادرة باكثر من ١٠٠ لغة ، ونتاج الفنون التشكيلية والشعبية المكرسة لزعيم الشغيلة العظيم .



متحف فنون شعوب الشرق . كريشنا وراجا من عظم الفيل .

بدأ في السنوات الاولى التي اعقبت الثورة وبمبادرة لينين بدأ جمع المواد المتعلقة بحياة ونشاط ماركس وانجلز ويوجد في موسكو الآن اكثر مما في اي مكان آخر في العالم مجموعة مخطوطات ووثائق ، ومواد مختلفة تخص هذين المنظرين العبقريين . ويعرض بعض هذه المواد في متحف ماركس وانجلز الذي افتتح في سنة ١٩٦٢ . فهنا يمكن مشاهدة طبعات «بيان الحزب الشيوعي» بحوالي ١٠٠ لغة ، وكتب باللغة الروسية مع ملاحظات ماركس نفسه . وتحفظ في المتحف اللوازم الشخصية لماركس وانجلز ، ومنها الاريكة التي احتضر عليها ماركس في ١٤ آذار (مارس) سنة ١٨٨٣ .

يوجد في موسكو اكثر من ٧٠ متحفا . ويعتبر متحف الثورة المركزي من اضخم متاحف التاريخ الثوري في البلاد ، فهو يضم اكثر من مليون قطعة من المعروضات .

ولعل المتحف التاريخي الذي تاسس سنة ١٨٧٢ يحوي اكبر المجموعات على الاطلاق ، ففيه ٤ر٥ مليون اثر تاريخي وادبي لشعوب الاتحاد السوفييتي من الازمنة القديمة حتى ايامنا هذه . وهو اغنى متحف بالمعروضات التي تم العثور عليها اثناء الحفريات الاثرية ، وبمجموعات الاسلحة الروسية والشرقية والغربية والملابس القديمة والمصنوعات الثمينة واوائل الكتب المطبوعة والمخطوطات اما مجموعة المسكوكات التي فيه فلها اهمية عالمية وهي تشمل القطع النقدية والميداليات والاوسمة . وللمتحف التاريخي فروع- كنيسة القديس بازيل التي انشئت في الساحة الحمراء في اواسط القرن السادس عشر على شرف انتصار جيوش القيصر ايفان الرابع (الرهيب) على التتر وفتح قازان ، ودير نوفوديفيتشي وقصور القرنين ١٦-١٧ في زريادية حيث يستطيع الزوار التعرف على حياة عوائل النبلاء الروس .

وللعاصمة متحف خاص بها وهو متحف تاريخ وتعمير موسكو الذي افتتح في سنة ١٨٩٦ ويقع قبالته واحد من اضخم متاحف العاصمة وهو المتحف البوليتكنيكي الذي تاسس في سنة ١٨٧٢ ويستعرض تاريخ التكنيك الوطني بدءا من اول سيارة بخارية اخترعها ايفان بولزونوف حتى منجزات التكنيك الحديث .

ويحدثنا متحف القوات المسلحة المركزي المؤسس سنة ١٩١٩ عن الطريق الكفاحي المجيد الذي اجتازه الجيش السوفييتي والاسطول من زمن الحرب الاهلية حتى ايامنا هذه .

وقد بعثت احداث حرب ١٨١٢ الوطنية في متحف بانوراما «موقعة بوروديتو» .

ويندر أن نجد في الاتحاد السوفييتي من لا يعرف متحف تريتياكوف الذي يضم اضخم مجموعة للفنون التشكيلية في البلاد ، وقد تاسس هذا المتحف في منتصف القرن التاسع عشر وضم المجموعة الشخصية لبافل تريتياكوف وهو احد تجار موسكو وعاشق للفن وقد اهدى هذه المجموعة لمدينته الحبيبة سنة ١٨٩٢ . وازدادت المعروضات خلال سنوات السلطة السوفييتية ويبلغ عددها الآن حوالي ٥٠ الفا .

متحف تريتياكوف

ولأجل اغناء المعارف بالثقافة الفنية الروسية لابد من زيارة متحف اندريه روبليوف للفن الروسي القديم ، وضياع نهاية القرن الثامن عشر في كوسكوفو (يمكن هناك مشاهدة مجموعة نادرة من الفرفور) ، ومتحف الفن الشعبي في اوستانكينو والمتاحف التذكارية للنحاتين غولوبكينا وكونينكوف وللفنانين ترابينين وكورين .

ويحتوي متحف بوشكين للفنون التشكيلية آثار ثقافة وفن الشرق القديم والاغريقي والروماني وغرب اوربا من الالف الرابع قبل الميلاد حتى يومنا هذا .

ويعتبر هذا المتحف الثاني في الاتحاد السوفييتي بعد ارميتاج لينينغراد من حيث عدد مجموعات الفن الاجنبي وقيمتها . وتسترعي انتباه الزوار فيه مجموعة اللوحات التي توجد بينها تحف كثيرة وتاتي في المقدمة المدرستان الهولندية والفرنسية .

ويقدم متحف فن شعوب الشرق المؤسس سنة ١٩١٨ ، صورة رائعة عن النتاج الفني لشعوب بلدان آسيا وافريقيا وجمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية وما وراء القفقاس .

ويمكن أن نجد اندر المجموعات في متحف باخروشين المركزي للفن المسرحي ، وفي متحف غلينكا المركزي للثقافة الموسيقية ، وفي متحف شوسيف للفن المعماري ، وفي متحف مسرح موسكو الفني باسم غوركي ، وفي فروعها .

وتحتل المتاحف الادبية مكانا هاما بين متاحف موسكو . ويعتبر متحف الدولة الادبي ابرزها ففيه جمعت مواد فريدة تبين تطور الادب في بلادنا ، ومؤلفات كبار الكتاب .

ويوجد في موسكو متحفان للكاتب ليف تولستوي ، الاول مكرس لابداعاته الادبية والاخر تذكاري متحف-عزبة ، ومتحفان لمكسيم غوركي واحد منهما تذكاري ايضا ، ومتاحف بوشكين وهيرتسن وماياكوفسكي واستروفسكي ومتحف-شقة دوستويفسكي ومتحف-دار تشيخوف .



الشيئة-المتحف دارخانغلسكويه» ، القرن الثامن عشر .

شيلتنا في موسكو امام كنيسة قديمة ... وعلى ضفة نهر موسكفا تشاهد احد الرسامين الهواة

آثار الماضي ومعالم المستقبل

(بقية المنشور على ص ٢)

الجامعة ومتحف صداقة الشعوب قرب النصب الذي اقيم في مركز الهزات الارضية ، وتضمن برنامج زيارتي مشاهدة المدينة القديمة وسوق المزرعة التعاونية .

واستقبلتني بحرارة في دار الصداقة السيدة توختاجايفا رئيسة جمعية الصداقة الاوزبكية ، فدار الحديث عن دور جمعيات الصداقة في قضية السلم .

اما سمرقند التي كنت مشتاقة لزيارتها فقد ادهشتني ، ساحة ريغيستان الاسطورية بمدارسها وقبابها الذهبية والمنائر اللازوردية . يالها من مناظر تثير البهجة في النفس . كنت اشاهد من نافذة غرفتي قبة ضريح غور امير الزرقاء ، ومقبرة سلالة تيمورلنك . وقد نقشت كلمات تيمور على احد الابواب : «ان السعيد هو الذي يتخلى عن العالم قبل ان يتخلى العالم عنه» . اما زيارة مرصد اولوغ بك فقد ساعدتني على حل لغز الة السدس التي كنت اتشوق لمعرفتها والتي كان يستعملها العالم الاوزبكي المشهور اولوغ بك ، بعد ان رايتها بعيني ، وهي الة ضخمة .

ولننتقل الان من الماضي الغابر الى الحاضر السعيد ، الجميع يستعد للاحتفال باول ايار ، وتزين الجدران وتنصب المصابيح ، ويستعد الشباب للمهرجان الرياضي والغناء ، وترفع الرايات واللافتات في كل مكان .

اما المصانع والمعامل التي رأيتها اثناء تجوالي بالمدينة فتبين ان سمرقند مركز صناعي كبير ، وتشهد الجامعة ومعهد الابحاث العلمية والعديد من المؤسسات التعليمية عن نشاط الحياة الثقافية التي تعيشها المدينة .

وعلمت عندما عدت الى موسكو ان هيئة التحرير قد اعدت لي مفاجأة سارة : زيارة غرفة-مكتب لينين في الكرملين . ولقد رأيت هذه الغرفة بمشاعر التاثر العميق ، والمعروف ان لينين هو الذي وضع برنامج كهربة البلاد هنا ، كما كان يضع خطط التحول الاقتصادي والاجتماعي للبلاد ومن هذا المكتب كان لينين يقود عملية الدفاع عن البلاد اثناء التدخل الاجنبي ، وكتب الابحاث النظرية الهامة ... كل شيء موجود كما كان" فيحافظ بعناية فائقة على الساعة والتقويم والمحفظة الجلدية العتيقة والالبوم الصغير الذي يحتوي على صور المستقطعة من الجرائد ... كل ذلك يثير مشاعر الانسان وانفعالاته .

وادهشتني بساطة الشقة التي كان يعيش فيها لينين ، الذي كان واحدا من افراد الشعب الروسي يقاسمهم حياتهم .

وشاهدت في قصر المؤتمرات في الكرملين باليه «دون كيشوت» وتمتعت بفن ماكسيموفا وفاسيلييف وهما من اكبر نجوم الباليه السوفييتي .

ان الكلمات لا تسعفني كي اعبر عن شكري لهيئة التحرير ولمؤسسة انتوريست وشركة ايروفلوت على حسن تنظيم زيارتي واعتقد ان الاصدقاء عندما سيستمعون الى احاديثي عن هذه الزيارة المدهشة سيعجبون وسيقتنع حتى المشككون منهم بالحقائق الموضوعية عن بلادكم .



منتخب الاتحاد السوفييتي في الهوكي على الجليد-بطل العالم واوروبا لعام ١٩٧٨ .
الجالسون في الصف الاول : حارس المرمى تريتياك (الثالث من اليسار) ، وفاليريس-احد افضل مسجل الاهداف في المباريات (الاول من اليسار) وكابوستين-افضل مهاجم (الاول الى اليمين) ، ومدرب منتخب الاتحاد السوفييتي-تيخونوف (الواقف في الوسط في الصف الثاني) .

الرياضة

* انتهت مباريات بطولة العالم واوروبا في الهوكي في براغ بفوز اللاعبين السوفييت . وقد جمع المنتخب السوفييتي ١٨ نقطة من اصل عشرين وجمع الرياضيون التشيكوسلوفاكيون العدد نفسه من النقاط ، غير ان اصابات مرمى الخصم اكثر منها لدى الفريق التشيكوسلوفاكي . وهذه هي المرة الخامسة عشرة التي يفوز فيها الرياضيون السوفييت ببطولة العالم . وشغل الفريق الكندي المرتبة الثالثة .

وستقام مباريات بطولة العالم الاخرى في موسكو في نيسان (ابريل) القادم .

* فاز فريق الشباب السوفييتي في كرة القدم بالمرتبة الاولى في المباريات غير الرسمية لبطولة اوروبا بين فرق الشباب (يشترك في هذه المباريات الرياضيون الذين لم يتجاوزوا السنة الثامنة عشرة) ، وقد انهزم الرياضيون اليوغوسلاف في المباراة الختامية امام الفريق السوفييتي بنتيجة ٣ مقابل صفر .

وهذه هي المرة الرابعة التي يفوز فيها الفريق السوفييتي . اما المركز الثالث فقد احتله الفريق البولوني .

* ستبدأ في ١٦ تموز (يوليو) القادم في المصيف باغيو (على بعد ٢٥٠ كيلومترا عن مانيلا عاصمة الفيليبين) مباريات بطولة العالم في الشطرنج بين كاربوف بطل العالم الحالي (الاتحاد السوفييتي) وكورتشنوي المواطن السوفييتي السابق (بلا جنسية الآن) . وستستمر المباريات حتى يفوز احد المشتركين بست مرات بدون احتساب التعادل ويضمن نظام المباراة لبطل العالم في حالة الهزيمة الحق في اجراء مباراة الثأر خلال عام واحد .

دورة مجلس اتحاد النساء الديمقراطي العالمي

افتتحت في موسكو في ١٥ ايار (مايو) دورة مجلس اتحاد النساء الديمقراطي العالمي الذي يوحد ١٢٦ منظمة نسائية من ١١٠ بلدان ويحضر الدورة ، الى جانب ممثل الاتحادات الوطنية ، وفود عدد من الاتحادات الدولية والاقليمية . ويضم جدول الاعمال مسائل حقوق النساء الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ومسالة التحضير للسنة العالمية للطفل في العام المقبل ، وبرنامج نشاط اتحاد النساء الديمقراطي العالمي حتى عام ١٩٨٠ . ويولى اهتمام خاص لقضايا نزع السلاح لمناسبة الدورة المقبلة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة والخاصة بنزع السلاح .

وقد جاء في رسالة التحية التي بعثها ليونيد بريجنيف للدورة : «ان العمل المشترك والتعاون بين مختلف القوى الاجتماعية التي تسعى الى نزع السلاح واخماد بؤر التوتر الموجودة يكتسب اليوم اهمية خاصة وان تقليص الميزانيات العسكرية والانتقال الى نزع السلاح وتحويل الاموال والموارد الهائلة التي يلتهمها سباق التسلح لاغراض البناء ، ستكشف امكانيات واقعية لحل الكثير من المسائل الاجتماعية الحادة ، بما في ذلك مسالة تحسين وضع النساء والاطفال .

وبامكان نساء العالم ان يثقن بان الاتحاد السوفييتي يفعل ، كما كان سابقا ، كل ما في وسعه لتلافي نشوب حرب عالمية جديدة وايقاف سباق التسلح ، وضمان الحياة السلمية لجميع البلدان والشعوب» .

وجاء في كلمة الافتتاح التي القتها فالنتينا نيكولايفا-تيريشكوفا رئيسة لجنة النساء السوفييتيات ، ان النضال في سبيل انقاذ البشرية من خطر حرب صاروخية نووية يغدو اهم شيء في عمل اتحاد النساء الديمقراطي العالمي في ايامنا .

بيـــان ...

(بقية المنشور على ص ٣)

ايقاف سباق التسلح كما ولو عنى ايقافا نهائيا والى احداث انعطاف حقيقي في حل قضية نزع السلاح التي هي اهم القضايا الدولية .

ان تصديق الدول على هذه الاتفاقية في الوقت الحاضر هو خطوة في الاتجاه ذاته ولو كانت محدودة من حيث نطاقها ، وان المشتركين في الاتفاقية حينما يطبقونها كانهم يقولون ان ليس من المعقول التوصل بالامر الى ان تظهر في ترسانات الدول العسكرية انواع جديدة خطرة من وسائل الحرب والابادة ، لضررها هائل ومن الصعب التعويض عنه» .

لقد ابرمت هيئة رئاسة السوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي بالاجماع الاتفاقية بشأن تحريم استخدام وسائل التأثير في الطبيعة للاغراض الحربية او لاي غرض آخر معاد للبشرية .

وقد وقع ليونيد بريجنيف باسم هيئة الرئاسة على مرسوم ووثيقة ابرام الاتفاقية .